



فِي مَدِينَةِ الْمَسْكُنِيِّ فِي مَدِينَةِ الْمَسْكُنِيِّ

## الجزء العادي والعشرون

لِلصَّفِ الْحَادِي عَسْرٍ  
بِالْعَلِيِّ الْعَالِمِ وَبِابِ سَرَادٍ

٢١

إهداء خاص من  
Y<sup>↑</sup>kuwait.net  
منتدیات بـاکویت



وزارة التربية

# تفسير القرآن الكريم

الجزء الحادي والعشرون

للفصل الحادي عشر بالتعليم العام

## تأليف

محمد عبد العزيز حسن عطية ( مشرفاً )

حمود أحمد علي حجر      محمود عبد الحميد حجاج

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ

٢٠٠٩ - ٢٠٠٨ م

حقوق الناشر والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية قطاع البحوث التربوية والنتائج  
إدارة تطوير المنهج

الطبعة الأولى

م ١٩٩٠ / ٨٩

م ١٩٩٤ / ٩٣

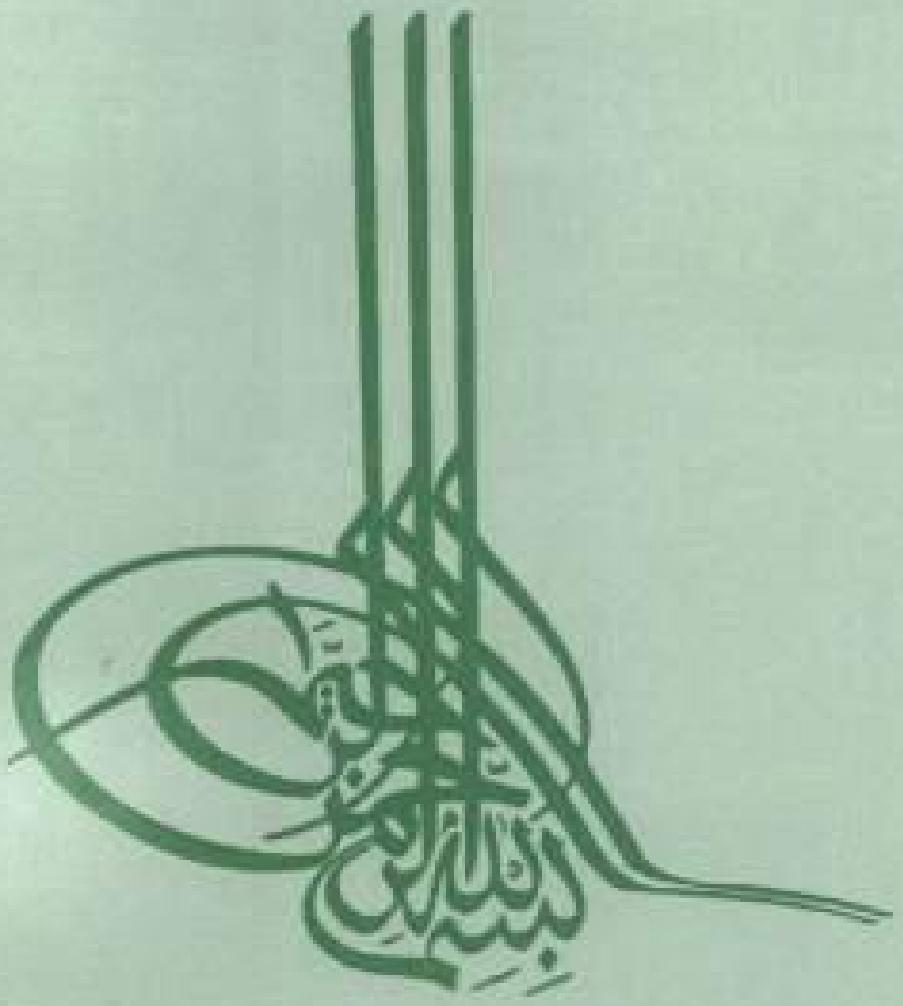
م ١٩٩٧ / ٩٦

م ١٩٩٩ / ١٩٩٨

م ٢٠٠١ / ٢٠٠٠

م ٢٠٠٣ / ٢٠٠٢

م ٢٠٠٦ / ٢٠٠٥





## محتوى الكتاب

الصفحة

الموضوع

٧

المقدمة

٩

سورة النعkipوت

٢٩

سورة الروم

٧٣

سورة لقمان

١٠٧

سورة السجدة

١٣١

سورة الأحزاب



۱۱۷-۱۱۸

## آنکه

«خواسته بودم، اینجا نیستم،

آنکه

این کسی نیست که بتواند این را بگیرد،

لیکن من خواسته بودم این را بگیرم».

«خواسته بودم این را بگیرم،

این کسی نیست که بتواند این را بگیرد:

کسی نیست که بتواند این را بگیرد،

آنکه

«خواسته بودم این را بگیرم،

کسی نیست که بتواند این را بگیرد،

آنکه



سورة العنكبوت  
مكية  
وآياتها تسع وستون



## مقدمة السورة

سورة العنكبوت مكية ، وأياتها تسع وستون آية ، وسميت بهذا الاسم  
لقوله تعالى :

« مَنْ لِلَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُنَّ الْعَنْكُبُوتُ أَخْذَتْ  
بِهَا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتَ لَيْتُ الْعَنْكُبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ⑪ ١١ »

وتبدأ السورة بالحديث عن تكاليف الإيمان، وحصبة الاختبار، وجزاء  
الخلق، وما أعد لأهل الطاعة ، وما يتظر المعاذين ، وغنى الله سبحانه  
عن الخلق أجمعين .

ثم تأتي وصاة الله للإنسان بروالديه ، في نطاق المرحة والإحسان ،  
والصحة بالمعروف ، وقضاء الحقوق ، دون أن يجاوز ذلك حدود الله  
وطاعته ، ودون الاستجابة لها فيما يُعصى به الله .

وتكشف السورة عن طوائف الخلق ، وأن شيئاً لا يخفى على الله  
 سبحانه ، كما تبين أسلوب أهل الضلاله ومحاولاتهم الكيد للمؤمنين ، ليكون  
أهل الإيهان على حذر ووقاية .

وتعرض السورة أحوال الأمم السابقة مع رسول الله - عليهم السلام - وما  
كان من تكذيبهم ليكونوا عبرة لمن تنزل فيهم القرآن ، وكيف نصر الله  
رسله وأمن معهم ، وكيف خدل أهل الكفر والتكذيب ، مع بيان قدرة  
الله سبحانه وتعالي وأنه لا يعجزه شيء ، وأن هذه هي سنة الله وهي

١١ العنكبوت

لاتختلف .

وتوضح السورة أن الذين يلجمون لغير الله سبحانه ، ويعبدون من دونه ما لا يملك هم ضرأ ولا نفعاً ، هم أضعف وأهون من أن تقوم لهم قائمة ، أو يكون لهم شأن ، وهؤلاء الضالون إنما يتعلّقون بالخيال إن حسبياً أن أهتّهم الباطلة يمكن أن تحقق لهم شيئاً ، وما مثلهم في وهمهم إلا كمثل بيت العنكبوت ، لا يرد عنها عادية ، ولا يحجب عنها داهية .

وتدعو آيات السورة بعد ذلك إلى لزوم جانب الله ، والابتداء بما تزّك من النور والرحمة والشفاء في آيات الكتاب الحكيم ، ولزوم عبادة الله سبحانه جل شأنه ، وما تهدى إليه من خلق كريم ، وما تحجب عنه من ذميم الأفعال ، وما تحت عليه من ذكر الله ، وما تضر من العواقب .

ثم تتعلق الآيات مبينة نهج الدعوة إلى الله ، وموقف أهل الكتاب وغيرهم منها ، وتؤكد صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتدفع حجة المرتدين في صدقه ، وتوضح المدى الذي جاء به ، وترد شبهة من يطلب الدلالات الحسية على صدق الرسول ، وأن في هدي الله وقرآنـه ما يقطع كل ريبة ، إلى جانب رحمة بالخلق دنياً وأخرة ، وتنبيه لأهل الإيهان واليقين ، وتبين الآيات كذلك للمكذبين المستكبرين أن العذاب الذي يستعجلونه - استهزاء وسخرية - لا حق لهم في الوقت الذي قدره الله ، وما بعده نجاة منه ولا فكاك ، وأن الآخرة موعد الناس أجمعين ، وللمؤمنين فيها نعيم مقيم ، جزاء صبرهم وعملهم وتوكلهم على ربهم في كل شأن ، وللمكذبين الكافرين عذاب النار .

وتبين الآيات إلى أن الله هو الرزاق ذو القوة ، وأنه وحده يرزق الأحياء كلها ، لأنـه الخالق القادر المهيمن على كل الوجود ، يصرفه كيف يشاء ، يسط الرزق ويضاعفه لمن يشاء ، ويقلله لمن يشاء ، وكل ذلك ليس بخاف على أحد ، لأنـه مشاهد وملموس ، بيته الكل ، ويراه ولا يملك أن ينكره .

وتبين الآيات أن الحياة الحقيقة هي الحياة الدائمة المستمرة ، التي لا يقطعها فناء ، ولا ينهيها موت ، وهي الحياة الآخرة .

ثم تكشف الآيات عن ضعف الإنسان أمام الشدائد وجلوه مهما تكن عقيدته إلى الله سبحانه وتعالى ، ثم انصرافه عنه وجحوده عند الأمان والطمأنينة إن كان من أهل الجحود والكفران ، وتتهدى الآيات أهل العصبية ، وتتلذّرهم أنهم سيرون بعد ذلك ما لا يرثون ولا يرجون .

وثُلَّتْ الآياتُ بعد ذلك بنعم الله التي خصت أهل الحرم بالأمن ، وتستذكر أن يكون الكفر بها والإيمان بالباطل ، رداً على هذه النعمة ، ثم تهديد المكذبين الظالمين لأنفسهم ولل الحق أشد القلم بالخلود في الجحيم .

أما أهل الإيمان واليقين والجهاد والصبر فهم على هدى في الدنيا ، و لهم في الآخرة النعيم القيم ، فهم أهل الإحسان ، وقد تأكدت لهم معية الله سبحانه ، في قوله تعالى : « وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »<sup>(١)</sup> .



\* ٤٦ \* وَلَا مُجَدِّلُوا أَهْلَ  
الْكِتَبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ  
وَقُولُوا إِنَّا أَمَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّهُنَّا  
وَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ وَحْدَهُ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ٤٧ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ الْكِتَبَ فَالَّذِينَ هَاجَرُوكُمْ مِنْهُمْ الْكِتَبَ يُؤْمِنُونَ  
بِهِ وَمَنْ هَنْئَلَهُ مِنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْعَلُ بِعَيْنِتَنَا إِلَّا  
الْكَافِرُونَ ٤٨ \* وَمَا كُنْتَ تَنْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَبٍ وَلَا  
تَخْطُلُهُ بِرَبِيعِنَكَ إِذَا لَأْرَتَابَ الْمُبْطَلُونَ ٤٩ \* بَلْ هُوَ آيَتُ  
بَيْنَتِ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْعَلُ بِعَيْنِتَنَا

إِلَّا الظَّالِمُونَ ⑤٦ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ؛ أَيْتَ مِنْ رَبِّهِ  
قُلْ إِنَّمَا الْأَيْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مِّنْ ⑤٧ أَوْلَمْ  
يَعْلَمُهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
رَحْمَةٌ وَذَكْرٌ لِفَوْرَمْ يُؤْمِنُونَ ⑤٨ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْتَنِي  
وَبِذِكْرِ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ  
إِمْتُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أَوْ لَكَ هُمُ الظَّاهِرُونَ ⑤٩  
وَلَا يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجْعَلْتَ مَسْعِي لَحَاءَهُمْ  
الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيهِمْ بِغَتَةٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ⑥٠ يَسْتَعِجِلُونَكَ  
بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُجْعَلَةٍ بِالْكَافِرِينَ ⑥١ يَوْمَ  
يَغْشِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْرِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ  
ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑥٢

## معاني الكلمات والجمل :

لَا تجادلوا	: لَا تناقشوا و تحاوروا .
الذى أنزل إلينا إليكم	: القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة .
مسلمون	: خاضعون مسلمون .
أنزلنا إليك الكتاب	: أوحينا إليك القرآن .
آتيناهيم الكتاب	: أنزلنا عليهم كتاباً وهم اليهود والنصارى .
يُجحد	: ينكرو يكذب .
ولا تخطله بيعينك	: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أمياً لا يكتب .
المطلوبون	: الذين يكفرون بالحق ويشركون عن الطريق القريم .
آيات بينات	: دلالل وبراهين واضحات جليات .
أوتوا العلم	: آمنوا بها جاءهم من ربهم فاهتدت به قلوبهم .
إنها الآيات عند الله	: الذي يملك المعجزات هو الله وحده .
نذير	: عذراً و منه وغوف من عذاب الله لمن يخالفه .
ذكرى	: عبرة وموعظة .
شهيداً	: شاهدوا و حكموا عدلاً .
بعثة	: فجأة .
يغشاهم العذاب	: يحيط بهم العذاب ويفعل بهم .

## الشرح

### أدب الجدال والمحوار :

حين تستمع إلى الناس وهم يتناقشون أمراً من الأمور ، أو يتحاورون في شأن من الشئون ، لا تجد لهم يلتزمون أحياناً ما رسمه الإسلام ، وخطه طريقاً سوياً للحوار والمناقشة . إذ قد ترتفع الأصوات ، وتحند الكلمات ، وقد يسعى كل فريق من المتحاورين للتغلب والانتصار دون أن يكون الحق هدفاً والصواب غاية ، كـما أنه قد يتم التحاوار بين من لا يحيط بالأمر الإلزامية التي تحمل للحوارفائدة وثمرة .

ولقد رسم الإسلام للمسلم هدفاً وأسلوباً للحوار ، فالغاية لابد أن تكون إظهار الحق ، وإعلان كلمته ، وهداية المترشد ، وتعليم السائل ، ويكون ذلك بإقامة الحجـة الواضحة والدليل القاطع في هذه ودون شغب ، وبطريقة تحذف السامع ، وتوضح له الغامض .

إذا كان ذلك هو الشأن بين المسلمين بعضهم وبعض فلقد يظن ظان أن ذلك لا يكون بين المسلم وغيره وبخاصة فيما يتعلق بالمحاورة في العقيدة والدين .

فيـبـيـنـتـ الآـيـاتـ هـاـ بـعـدـ ماـ دـعـتـ إـلـىـ التـزـامـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ تـلـاوـةـ وـاهـتـادـهـ، وـإـقـامـةـ الصـلـاةـ إـقـامـةـ تـبـيرـ الطـرـيقـ وـعـهـدـيـ إـلـىـ الـحـقـ وـتـعـفـ عنـ الـحرـمـاتـ، وـتـصـدـ عنـ الـمـعـاصـيـ، وـتـعـينـ عـلـىـ ذـكـرـ اللـهـ -ـ يـبـيـنـ الآـيـاتـ آـنـ الـحـوارـ معـ أـهـلـ الـكـتـابـ مـنـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ فـيـ ذـعـورـهـمـ إـلـىـ طـرـيقـ اللـهـ وـإـلـىـ نـورـ الـإـسـلـامـ وـهـدـيـهـ آـنـ يـكـوـنـ الـحـوارـ لـبـاـ رـفـيقـاـ، يـقـومـ عـلـىـ الـإـقـنـاعـ بـالـحـقـ فـيـ أـسـلـوبـ لـاـ يـنـفـرـ، وـطـرـيقـ مـحـبـيـةـ تـؤـثـرـ فـيـ الـقـلـوبـ، فـهـمـ أـهـلـ كـتـابـ سـيـاويـ، نـوـمـنـ بـهـ -ـ قـبـلـ تـحـريـقـهـ -ـ كـماـ يـؤـمـنـونـ، وـنـصـدـقـ آـنـ مـنـ عـنـ اللـهـ كـماـ يـصـلـقـونـ، فـعـلـ الـمـلـمـ إـنـ دـعـاـ هـؤـلـاءـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ آـنـ يـبـيـنـ لـهـمـ آـنـ الـإـسـلـامـ

وأديانهم إنما هي من الله سبحانه وتعالى ، وأن الذي هدى إلى هذه الأديان هو إله واحد ندين له بالطاعة كما يدينون ، ونؤمن بالروحى الذي أنزله على رسولنا وعل رسلهم سواء .

وإذا سلك الحوار هذا الطريق ، فإن أكثر من يستمع أو يشارك في هذه المعاورة من يتبعون الصحيح من كتبهم ، ولم يظلموا أنفسهم بالخروج على هدى الله ، ولم يحرقوا ما جاءهم من عنده - يستجيبون ، ويؤمنون ، ويقبلون الدعوة ويؤمنون بها أنزل الله في القرآن الكريم . أما من لا يفعه هذا الأسلوب فأولئك الذين ختم الله على قلوبهم وعقولهم من حادوا في الأصل عما جاءهم من قبل ، واتبعوا طريق الانحراف والتبدل والتغيير . وإذا رجعنا إلى أيام الإسلام الأولى فنجد كثيراً من أهل الكتاب استجابوا لله ورسوله ودخلوا في الإسلام جماعات ووحدات .

فليق عاش الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيهم وبينهم عمراً طويلاً ، ولم يكن يتلو كتاباً وإنما كان أمياً لا تخط يديه ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى الارتياح والشك في دعوته ، وفي أن ما تنزل عليه إنما هو من عند الله سبحانه ، ولا ينكر ذلك غير أهل الفضلال والباطل .

وأن هذا القرآن الكريم الذي يتنى على الناس واضح الدلالة على أنه من عند الله . فما استمع أحد إلى مثله من قبل ، وما جرى بين الناس حديث مثل حديثه ، ولا عرفا هدياً مثل هديه ، ولا يشك واحد من أهل اليقين والعلم وأصحاب الخبرة ودقة النظر أنه من عند الله ، لأنهم يحيطون بما في حياة الناس من علم وحكمة وكتب ، فهم لا يشكرون ولا ينكرون ، إنما يشك في ذلك أو ينكره الظالمون الجاهلون .

### القرآن معجزة باقية :

حين نزل القرآن ومخاطب المشركين في مكة برسالة الإسلام ، قال بعضهم لبعض : لو تزرت معه معجزات مادية تراها عيوننا وتلمسها أيدينا

لاقتنا بصدقه ، كما كان ذلك مع الرسول السابقين ، وما دام يدعى أنه رسول من عند الله فلماذا لم يزد الله بهذه المعجزات ؟

إن الله سبحانه وتعالى أيد رسالته بكثير من المعجزات المادية ومع ذلك فإن نظرة إلى تلك المعجزات التي طلبوا أن يُؤْيَدَ بها محمد - صل الله عليه وسلم - ينتهي أثرها بانتهاء من شاهدها ، ولا تدوم أكثر من العصر الذي حدثت فيه ، بخلاف القرآن الكريم الذي يبقى ما بقيت السموات والأرض وما بقيت الحياة .

حين قال المشركون من أهل مكة ذلك طلب الله تعالى من الرسول - صل الله عليه وسلم - أن ينبههم إلى أن الأمر في إرسال الرسل بيد الله سبحانه وتعالى الذي يفعل ما يشاء ، وأنه - سبحانه - إنما أرسل إليهم رسولاً متذراً وعذراً من عذاب الله الذي أعده لمن يعبد سواه وبخوض بالطاعة غيره ، ثم تتعجب الآيات بعد ذلك من جحودهم وغفلتهم وجرائم ورائهم دليل مادي مع قيام نزول القرآن دليلاً قوياً باقياً بينهم يتل ليلًا ونهاراً هداية وتذكيراً بين الناس طريق الهدى ، ويهديهم إلى ما يصلح حياتهم وينفعهم في الدنيا والآخرة .

يمكن أن يصحبهم أينما كانوا وأن يكون معهم أينما حلوا ، يعيش معهم ويبيق من بعدهم أبعد هذا كله يطلبون معجزة كمعجزات الرسل السابقين ؟

لقد كانت رسالات الرسل السابقين محدودة ومؤقتة ، أما رسالة الإسلام فهي الرسالة الخاتمة ومن شأن معجزتها أن تكون كذلك باقية يشهدها كل إنسان على تتابع العصور ومر الأيام .

و يُؤْمِر المصطفى - صل الله عليه وسلم - أن يقول لهم لذلة المعاذدين المكابرین إنه يكفيه أن يكون رب العزة شاهداً على صدقه فيما يقول لهم ، وعلى إخلاصه فيما يدعوه إليهم ، وهو الحكم العدل الذي يعلم كل ظاهر

وخف في السموات والأرض وما بينهما وأن الذين يتحاوزون للباطل ويزمرون به ، ويشركون بالله ويکفرون به ، قد خسروا دنياهم حيث ضلوا طريق السلامة والأمن والصلاح والخير فيها كما خسروا في الآخرة نعيم الله المقيم .

### استعجال العذاب :

كان الكفار عندما تهددهم آيات الله بالعذاب - إن هم أصرروا على تكذيبهم واستمرروا في عنادهم - يسخرون ويستهزئون ويطلبون من الرسول - صل الله عليه وسلم - أن يتوجه لهم بجيء هذا العذاب . لكن الله سبحانه وتعالى وقت لكل شيء وقتاً ، وحدد لكل شيء موعداً لا يتقدم ولا يتاخر ، ولو لا ذلك لعاجلهم عذاب الله ، وسوف يأتيهم هذا العذاب حين يجيء وقته فجأة دون توقع ، وهم في غيهم وكفرهم ومكابرتهم غافلون .

وإذا كان استعجالهم للعذاب استهزاء فإن جهنم حين يروثها ستكون عبطة بهم مطعمة عليهم لا يستطيعون منها فكاكاً ، ولا يملكون خروجاً ، و يوم يأتيهم العذاب ويغطيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم مستغول لهم ملائكة العذاب - زيادة في إذلالهم - : هذا الذي أنت فيه هو نتيجة كفركم ونكذبكم وسوء فعالكم ، فذوقوا العذاب الشديد وعيثوا مع الألم والحرقة حيث لا ينفع التدم .



يَعْبُدِي الَّذِينَ هَامَنُوا إِنَّ  
 أَرْضَى وَرِسْعَةً فَلَيَقُولُنَّ فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ  
 ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 لَنْ يُؤْثِرُوكُمْ مِنْ أَجْحَنَّةٍ غَرْ فَإِنْجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَالِدِينَ  
 فِيهَا نِعْمَ أَبْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَزْقِهِمْ  
 يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَانَ مِنْ دَأْبِهِ لَا يَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا  
 وَلَا يَأْكُلُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمُوهُمْ مِنْ خَلْقِ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَرَّ الشَّجَنُ وَالْقَعْدَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ  
 فَإِنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
 وَيَقْدِرُ لَهُ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمُ

مَنْ تَرَكَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَا كَانَ فَأَحْيَاهُ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِ مَوْتِهَا  
لِيَقُولُوا لَهُمْ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝  
وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ اللَّهُ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ  
لَهُنَّ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ  
دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا تَجْنَبُوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ  
يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا إِعْمَالًا أَتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمْتَعُوا فِي سُوفَ  
يَعْلَمُونَ ۝ أَوْ لَمْ يَرُوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا إِمَّا وَيَخْطُفُ النَّاسُ  
مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَإِلَيْهِمْ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعِمُهُ اللَّهُ بِكُفُرِهِنَّ ۝  
وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَعَنْ  
جَاهَةِ الْمِسْكِينِ فِي جَهَنَّمْ مُشْوِى لِلْكُفَّارِ ۝ وَالَّذِينَ  
جَنَّهُوا فِي النَّارِ نَهَيْنَاهُمْ سَبِيلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِّيَ الْمُحْسِنِينَ ۝

## معاني الكلمات والجمل :

- كل نفس ذاتية الموت : كل مخلوق يستهني أجله ويزعزع .
- لبيوتهم : لترث نعمتهم ولتشكتنهم .
- غرفاً : علالى الجنة جمع عليه .
- دابة : كل ما يدب على الأرض من الكائنات والمخلوقات .
- آنى بزفكون : كيف يصر غون ويجولون عن الحق وعبادة الله .
- يقدره : يضيقه على من يشاء .
- أحيا به الأرض : جعلها تنبت .
- وأن الدار الآخرة : الدار الآخرة هي دار الحياة الحقيقة الدائمة .
- لحي الحيوان : السفينة .
- الفلك : حرماً آمناً
- يتخطف الناس : مكاناً يتمتع بالأمن ومحروم فيه القتال .
- أموالهم : تكثر الإغارة عليهم ويقعون في الأسر والقتل وتسلب .
- الباطل : الإشراك ومخالفة الحق .
- مشوى : مكاناً يقيعون فيه إقامة مستمرة .
- جاهدوا علينا : قاتلوا نصرة دين الله .
- لنهدى بهم سبلنا : لنوفنهم لطرق الحق .
- المحتين : الطائعين المخلصين الذين يراقبون الله ويسعون لإرضائه .

## الشرح

### سبب نزول الآية رقم ٥٦ :

قال ابن عباس - رضي الله عنهم - نزلت هذه الآية لما أذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحجرة، وأمر المسلمين بها، خافوا الفسحة والجماع وقال قوم منهم أنها حجر إلى بلد ليس فيها معاش؟ فنزلت هذه الآية فهاجروا.<sup>(١)</sup>

### أرض الله واسعة :

نخاطب الآيات الكريمة المؤمنين ثبيتاً لإيمانهم، وإعلاناً من الله سبحانه وتعالى بحبيتهم، وندعوهم إلى الاستمساك بالطاعة والحرص على نقاء العقيدة وسلامة العبادة، وتعلموا أن أرض الله سبحانه وتعالى فسيحة واسعة فإنهم خافوا على أنفسهم من الفتنة أو التقصير تجنبًا لآياده أهل الكفر والعناد، فعليهم أن يداروا بالفجرة من هذا المكان إلى مكان آخر من أرض الله، يتسلكون فيه من أداء العبادة على وجهها، وفي ظل عقيدة نقية خالصة، وعليهم أن يدركون أن كل حي لابد أن يلحقه الموت، وأن كل من على الأرض لابد أن يبلغ النهاية كما قال تعالى: « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا »

فَإِنَّ ⑯ وَيَقِنَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْحَلْلَةِ وَالْإِكْرَامِ ⑰ »<sup>(٢)</sup>

فلا ينبغي لهم أن يخافوا ولا أن يفرعوا، بل عليهم أن يطمئنوا إلى رحمة الله بهم، ونصرته لهم، وما يمكن أن يحدث لهم أكثر من ملاقاة الموت الذي يلحق بكل الأحياء.

(١) أسباب النزول للرازي.

(٢) سورة الرحمن الآيتان ٢٦ ، ٢٧.

والمصير بعد الموت إلى الله سبحانه وتعالى ، ولقد أعد لأهل الإيمان الذين يحسنون العمل ، ويتوهرون على فعل الصالحات رفع الدرجات في الآخرة ، وأعد لهم منازل في أعلى الجنة يلقون فيها غاية التكريم والإنعام ، تجري الأنهار من حوضهم ومن تحت أرجلهم ، ويلقون فيها نعمة وسلاماً ، وينعمون فيها بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطط على قلب بشر ، جزاء طيباً ، وأجرأ عظيماً ، ونعم هذا الأجر العظيم لمن يعمل ابتغاء مرضاه الله وطاعته ، من الذين يصبرون على تحمل التكاليف والأعباء دون ضجر أو ملل ، ويصبرون كذلك على ما يلاقونه في سبيل إيمانهم من إيذاء وشدة ، ويفوضون في كل شأنهم لهم ، ويتوكلون أصدق التوكل على ربهم . وكم من كائنات حية تدب في هذه الحياة لا تطيق تدبير رزقها لضعفها ولا تدخره ، يرزقها الله من فضله ويرزقكم ، وقد توكلت هذه الدواب على ربها مع ضعفها وعجزها ، وقد منح الله الإنسان قوة وقدرة على أسباب العيش ، وفي الآية الأخيرة تقوية لعزم من أراد المجرة ، وحده عنها خوف الفقر ، فالله سبحانه وتعالى سميع للسر والعلن ، عليم بكل ما ظهر وبكل ما يخفي ولا يضيع عنده عمل عامل ولا سعي مزمن .

### تدكير وإنذار :

يُكفر أهل مكة ويشركون مع الله آلهة أخرى يعبدونها ، ولو سئلوا عن خالق السموات وما فيها ، والأرض وما عليها ، ومن الذي سخر الشمس تبعت الدفء وتنشر الفساد ، وتقدم — بفضل الله وقدرته — ما خلقها الله له من المتفاعل والوظائف ، والقمر من الذي سخره ليكون نوراً ومن الذي قدره منازل ليعلموا عدد السنين والحساب ، لو سئل هؤلاء الكفار عن ذلك لقالوا : إنه الله . إذن فإذا دهاهم حتى أغرى عقولهم ؟ وما الذي صرفهم عن هذا اليقين المستقر في قلوبهم بوحدانية الله فأشركوا به ما يعبدون من دونه ؟ والله سبحانه وتعالى الذي يعترفون بأنه الخالق والمسخر

هذا الكون هو كذلك الرزاق وحده لا شريك له يرزق من يشاء من عباده بسعة وزيادة، ويعطي من يشاء بقليل، ويرزقه قليلاً، ويحيط علمه بكل شيء، وعلم ما يصلح العباد - وما يمكن أن يحرر إلى الغي والفساد. ولا ينبغي أن يتصور أحد أن الله سبحانه وتعالى حين يوسع في الرزق أو يضيق يفعل ذلك من غير حكمة، وإنما ينبغي على كل مؤمن أن يعلم أن كل شيء يتم بتقدير وبحكمه، ولا ينبغي لأحد أن يتصور أن المال يأتي بقدرة مالكه وحسن تدبيره فحسب، كما لا ينبغي على من ضاقت معيشته أو قل رزقه أن يعتقد أن ذلك عقوبة له، وإنما هي حكم مستور عننا، وليس شرطاً أن نعلمهها، وإنما كما علينا ألا يُغفل الغني حتى الفقير في ماله، وأن يسعى الفقير بكل جهده لتحصيل رزقه، دون سخط أو تبرم، وألا يتعالى بعض الناس على بعض ما يملكون من الأموال.

وفي هذه الآية التي تتحدث عن بسط الرزق وتقديره تبيه لمن يتوجه بالعبادة لغير الله إلى أن من أشد الأعمال نكراء، وأكثرها سفها، وأشدتها إيماناً في الظلم أن يتوجه العاقل بالعبادة والتاليه لغير المخلق المخْرُ الرزاق. وهو لـ الكفار أيضاً لو سلوا من نزل من السماء ما مدراراً يهتز به وجه الأرض القاحلة الجرداء الميتة فتُبَعِّثُ فيها الحياة وتُخْضرُ، وتُبَتِّبُ الجنات الوارفة الضل، وتخرج للناس حب الحصيد **«وَالنَّخْلَ بَلِيقَتِ هَـَا طَلَعَ**

**تَضِيدُ ⑩ رِزْقًا لِّلْعَبَادِ»**<sup>(١)</sup> لو سلوا قالوا إنه الله وتوجه الآيات لرسول الله - صل الله عليه وسلم - ليحمد الله على أن ما جاءهم به هو الحق، وأنهم في قراره أنفسهم لا يملكون تحكيمه، وأن اتصاف أكثرهم عنه سبيه الفساد والجهل والغواية وإلغاء العقول. ثم تبيه الآيات بعد ذلك وتبين له أن الحياة الدنيا كلها ما هي إلا أوقات محدودة ينعم فيها الناس قليلاً كما ينعم الأطفال باللعب وما تلبث أن تستهني ويتهون، ويخربون منها منها

(١) سورة «الإسراء» الآيات ١٠ - ١١.

تطول أعمارهم فيها إلى الحياة الحقيقة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى . ولكن الذين يُفتنون بالدنيا ويلهون فيها ويَتَشَبَّثُونْ بِمُفَاتِحَهَا وَلَا يَعْمَلُون الصالحت - لا يعلمون أن الحياة الحقيقة ليست هذه الحياة الدنيا ، وإنما هي الحياة الآخرة .

وأن هؤلاء الذين ينصرفون عن هدى الله ، ويشركون به إذا ركعوا سفينة ثم عصفت بهم الرياح وهم في وسط البحر ، ومالت بهم السفينة ، وأوشكوا على الغرق - يُسمع دعاوُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَضَرَاعَتْهُمْ ، واستغاثتهم بأنهم يخلصون لله تعالى التوحيد والعبادة ويصدقون في توجهم ، ويعطئون الندم والمتاب ، تغسل دموعهم وجواهفهم وغزق آهائهم حاجزهم حتى إذا نجاهم الله تعالى إلى البر ، عادوا كما كانوا ، يشركون به ويختلرون من دونه آلة يعبدونها . هؤلاء يهددهم الله سبحانه وتعالى على كفرهم بما أرسل إليهم ، وما أنزل فيهم ، ويتوعدهم بأنهم سوف يرون بعد التمتع بما هو فيه ما أعد لهم من عذاب يكافئهم ، وسيعلمون حيثذاك ما كفروا به هو الحق ، وأن ما اندروا به لم يكن إلا الصدق واليقين .

وعجب أمر هؤلاء الكفار من أهل مكة ، فلو نظروا حوصلهم لرأوا أنهم دون غيرهم من العرب الذين يقيعون خارج مكة أكثر أمناً وطمأنينة ، فلقد جعل الله بلدتهم حرماً ، يحرم فيها القتال ، فمن عاش فيها أمناً على نفسه وماله ، في حين أن الناس حوصلهم خارج مكة تتولى عليهم الغارات ، ويكثر عليهم العدوان فيتختطفون من بيوتهم ، وتسلب أموالهم ، وتُسيء نساؤهم ، أبعد هذا كله - وهو حقيقة يعيوها ، ونعمة من الله يتعمدون بها ؟ - أبعد هذا يكون خصوصهم للباطل ، وعبادتهم لاصنام لا تنفع ولا تضر ، ثم يكفرون بنعم الله عليهم ولا يزدون حقه تعالى بالعبادة والطاعة .

وأي ظلم أشد وأكبر من ظلم الذي يكذب على الله فيدعى أن له شريكاً يتوجه إليه بالعبادة ، أو يكذب بما يحيته من عند الله من الحق على يد من يختارهم الله تعالى لتبلیغ رسالته وهم الرسل عليهم السلام . لا أحد أظلم من

هزلاء، وإن هؤلاء الكافرين لتنتظرهم جهنم مستقراً ومقاماً يذوقون فيها العذاب الأليم حزاء ظلعمهم وكفرهم.

أما أهل الإيهان والإخلاص واليقين الذين بذلوا مهجهم وأرواحهم واحتملوا في سبل الله ومرضاته كل جهد ومشقة وصبروا على أداء ما أمرُوا به، وأحسنوا القيام عليه، هؤلاء هم في ظل الله ورحمته، يأخذ بأيديهم، ويهدى لهم طرق الخير، ويوفهم للحق، ولا تغفل عينه عنهم، فقد أحسنوا الطاعة، والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين، وهو معهم يظلهم بظله ويحفظهم بقدرته.



سورة الروم  
مكية  
وآياتها ستون



## مقدمة السورة

هذه السورة مكية وآياتها ستون ، وقد أطلق عليها هنا الاسم لورود ذكر الروم في أوها .

وقد استهلت السورة بذكر هزيمة الروم أمام الفرس ، وكيف أن المعركة الخامسة بينها قريبة ، وأن الغلبة فيها ستكون للروم ، مما يشح صدور المؤمنين ، فقد كان الروم أهل كتاب ، وكان أهل مكة من المشركين يوالون الفرس حيث كانت المجوسية ديانتهم وهي والوثنية سواه ، لذلك فرح المشركون حين غالب الفرس ، وتطاولوا بهذا النصر على المؤمنين .

فبات الآيات أن هذا الأمر لن يستمر أكثر من بضع سنين ، ثم تدول الدولة على الفرس وبهزموه من الروم هزيمة تختتم الحرب بينهم . وتزداد السورة – كالعهد بالسر المكية – على الإيمان بالله ووحدانيته ، وتأكيد شأن الآخرة وما يكون فيها من البعث والحساب .

وتعرض كذلك لأحوال السابقين وما كان من حال رسليهم معهم ، وما كان من شأنيهم مع رسليهم ، وكيف كانوا أشد من كفار قريش قوة وأكثر جعاً ، وأكثر أمراً وأولاداً ، وكل ذلك لم يدفع عن المكذبين عقاباً ولم يردد عنهم عذاباً . وتحدثت السورة طويلاً عن وحدانية الله ، وأقامت من الأدلة والبراهين ما تخضع له العقول الواقعة ، وتعيه الأذان الصاغية ، وتنؤمن به القلوب الرشيدة ، ولكن أهل الشرك والعناد لهم قلوب لا تعقل ، وأذان لا تسمع ، فقد حلمت الجهالة عيونهم عن الحق فهم لا يصرون .

كما أفحمت الذين يتبعدون البعث والحساب ، وإمكانية الإعادة بعد الموت ، وبشت أن الذي خلق الخلق ابتداء يسهل عليه الإعادة ، فجمع الموجود أيسر من خلق المعدوم .

و عرحت السورة للكثير من صور القيمة ، و حال الناس فيها ، وكيف أنهم فريقان فريق آمن بالله وبرسله وبال يوم الآخر ، فاستقام في دنياه ، وصلح عمله ، وخشع قلبه لربه ، وأطاع الأمر ، واجتب المعاصي فهو في الجنة ينعم بجزاء الله وجنته فرحاً بها آتاها ، وفريق كفر بربيه ، وكذب رسول الله الذين جاءوه ، واستبعد من حياته إمكان القيمة والبعث ، فاتحرف عن الصراط السوي ، وساء عمله ، وخانت طويته ، وكذب وعصى ، واجتب الطاعات ، وأقبل على كل منكر ، فهو في سوء الجميع ، يحيط به الخزي ، وتخني هاته المذلة ، يتجرع العذاب ألواناً ، ويتمنى أن لو عاد ليعمل صالحاً فيها ترك ولكن أنى له ذلك ، فالمؤمن في نعيم خالد ، والكافر في عذاب مقيم . ولقد أشارت السورة إلى الربا إشارة كافية عن مقت الله له ولا أصحابه ، وأن الدين يظنون أنهم بالربا يضاعفون أموالهم واهمون ، وأن المال النامي حقاً ، والمضاعف لا أصحابه عند الله ، إنما هو المال الذي يجمع من الحلال ، ويندل في سبيل الله وفي المكرمات التي ترد حاجة المحتاج ، وتغنى الفقير عن مذلة السؤال ، وأن أصحاب هذا المال المتداول في الزكاة وفي مرضاة الله ، أولئك هم الذين تضاعف أموالهم ، وترى حسانتهم .

ثم يأتي الأمر بعبادة الله حلال السورة إذ هو سبل السعادة الحقة في الدنيا والأخرة ، ووسيلة العباد الشكر المنعم المتفضل ، الغنى الكبير .

وفي السورة بيان أن الإسلام هو دين الفطرة لم يكلف المسلم بما لا يقدر عليه ، وما كلفه إلا بما يصلح شأنه ، ويسعد قلبه ، ويطمئن به عشه ، ويسط عليه وعلى كل الناس من حوله سر الرحمة والإخاء والمحبة والعدل .

وحذرت السورة من اتباع المشركين أو الركون إليهم ، فقلو لهم حالية من الخير والسوء ، وعقوتهم خاوية لا حكمة فيها ولا هدى .

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

إِنَّمَا يُغْلِبُ الرُّومَ ۖ لَا فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ  
 مِنْ بَعْدِ غُلْبِهِمْ مُسْتَغْلِبُونَ ۖ فِي يَوْمٍ يُضْعَفُ مِنْهُمْ  
 مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ ۖ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ إِنَّمَا يُنَصِّرُ  
 اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَعَدَ اللَّهُ  
 لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدُهُ ۖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ  
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ  
 غَافِلُونَ ۖ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۖ وَاجِلٌ مَسْعَى

وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لِيَقَاوِي رَبِّهِمْ لَكُفَّارُونَ ۝ أَوَلَّ  
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَةُ الدِّينِ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا  
 أَكْثَرُهُمَا عَمَرُوهَا وَجَاءُهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَإِذَا كَانَ اللَّهُ  
 لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ثُمَّ كَانَ عَنْقِبَةُ  
 الَّذِينَ أَسْتَأْوُا أَلْوَانَهُ أَنْ كَذَّبُوا بِشَافِتِ اللَّهِ وَكَانُوا  
 رِبَّا يَسْتَرِزُونَ ۝ اللَّهُ يَبْدُؤُ أَنْتَلْقَهُمْ يُعِيدُهُمْ إِلَيْهِ  
 تَرْجِعُونَ ۝

معاني الكلمات والجمل .

أدنى الأرض : أقربها من بلاد العرب .

غلبهم : هزيعتهم .

ظاهراً من الحياة الدنيا : ما يتعلق بأمور معاشهم وملاذ الحياة الدنيا وزخارفها .

أجل مسمى

بلقاء ربهم

عاقبة

: وقت محدود مقدر .

: بالبعث والوقوف بين يدي الله يوم القيمة .

: نهاية ونهاية .

أثاروا الأرض وعمروها : حرثوها وزرعواها

: المعجزات والأدلة الواضحة .

فما كان الله ليظلمهم : ما ظلمهم الله حين عاقبهم وما يكون ذلك  
لعدله سبحانه .

السوء

كذبوا بآيات الله

يداً الخلق

: العقوبة البالغة السوء والشدة .

: كفروا بها أنزل الله إليهم ولم يطعووا رسنه .

: ينشئ الخلق من العدم .

## الشرح

### النبوة الصادقة :

تبدأ السورة بـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وبعدها يبدأ به بعض سور القرآن من الحروف المقطعة؛ دلالة على أن هذا القرآن العظيم من عند الله سبحانه وتعالى، ومن كلامه ووحيه وهو مركب من الحروف التي تحرى على آلية الخلق في التخاطب والكلام، ولو لم يكن من كلام رب العالمين لقدرها على عماكاته واستطاعوا أن يأتوا بمثله، وبخاصة بعد أن طلب إليهم على وجه التمجيز والتحدي أن يأتوا بسورة من مثله فيهم الظالمون وظاهر عجزهم وثبت الإعجاز. وأن القرآن الكريم تنزيل رب العالمين.

تبدأ السورة بعد ذلك بذكر قضية شغلت أذهان الناس ومحالهم شغلاً كثيراً في مطلعبعثة الرسول - حصل الله عليه وسلم - بالرسالة، فلقد كانت الحروب متعددة من قبل ذلك بزمن طويل بين دولتي الفرس والروم وما أعظم قوتين في ذلك الزمان، وكانت دولة الفرس جوهرية العقيدة، وكانت دولة الروم تخضع للديانة النصرانية، وكانت المجوسية أقرب إلى عقيدة الشرك، ومن هنا كان يفرح المشركون لانتصارها وكانت الروم وهي تخضع للدين ساروا أقرب إلى أهل الإيمان، وانتصرت الفرس على الروم ففرح المشركون فرحاً شديداً لانتصار الشرك على الإيمان في هذه المعركة، وأخذوا يفاخرون المؤمنين بذلك، فنزلت الآيات الأولى تعلن لأهل الإيمان أن الحرب ما زالت دائرة، وأن نصر الفرس موقوت، وأن معركة فاصلة قربية سوف يتتصرون فيها أهل الكتاب من الروم على أهل الشرك والوثنية في فارس. وأن ذلك سوف يتم خلال بضع سنين، وأن نصر الله يعطيه من يشاء، وأهل الكتاب أولى بنصره، وأن فرحة المؤمنين يومئذ ستملأ القلوب كما سيكون النصر ندامة وخيبة أهل للمشركين.

ولقد تحدى بعض أهل الشرك أبا بكر - رضوان الله عليه - حينما ذكر لهم نبوة القرآن الكريم ، ويفيتهم بها ، وتصديقه لها ، تخدوهم بالمرأفة . ولم تكن قد حرمته بعد - فقبل الرهان ، وكان على عشر قلائص - والقلوص هي الناقة الفتية - فإن ظهرت الروم دفعوا لأبي بكر ، وإن انتصرت فارس غرم أبو بكر ، على أن تكون المدة بينها ثلاثة سنتين ، وأخبر أبو بكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما كان ، فامرء أن يمد الأجل ويزيد في قيمة الرهان وذلك لأن كلمة البعض في العدد - من الثلاثة إلى التسعة ، فرجع أبو بكر إلى الشركين وقبلوا منه الأجل ، وزيادة التوفيق فأصبحت مائة ، وما جاء الأجل إلا وقد انتصرت الروم وتحقق وعد الله ، ونصر أهل الكتاب ، وفرح المؤمنون بنصرهم .

وهكذا يفعل الله ما يشاء وهو العزيز الغالب ، الرحيم لأهل الطاعة ، وعده حق ، ولا يخلف ، لأن وعده قائم على الحكمة وعلى سنته المحكومة بقانونه الدقيق ، وإرادته النافذة « وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ »<sup>(١)</sup> وإن جهل ذلك كثير من الناس عن صرفوا قلوبهم عن الإيمان والهدى ، وعن الحق والرشاد .

فيهلاك المشركون الذين يشغلون بأمور الحياة ، وظواهرها ، وأحوالها ، وما يجري حولهم ، وتصرفُهم دنياهم عن التفكير في الآخرة وما يكون بعد الحياة وعاقبة الحياة وما يتضرر الناس بعد خروجهم منها ، هؤلاء الغافلون الذين يحسبون أن الحياة الدنيا واللهو والتمتع بزيتها هي كل شيء - آن لهم أن يعرفوا هدى الله ، وعدله الله ، وسنه الله .

## دعوة إلى الاعتبار :

تلتفت الآيات بعد ذلك إلى خفالة المشركين وغادريهم في الباطل ، فلو أنهم فكروا وتأملوا خلق الله من السماء إلى الأرض ، وإلى ما بين السماء والأرض . . . لا يدركون أن ذلك ما خلق إلا بالحق والقدرة التي لا تحدوها حدود ، ولا يدركون - من خلال تأملهم ودقة نظرهم - أن كل ما في الحياة إلى نهاية ، وأن آجال الكائنات كلها موقوتة وإن تفاوتت في مدة بقائها ، وأن لكل كائن نهاية يتنهي عندها ، وأن هذه الكثرة الكاثرة من الناس الذين يكفرون بلقاء الله وينكرون البعث ، ويجدون القيمة ، إنما أغلقوا عقولهم عن الحق ، وصدوا أنفسهم عن الهدى .

إن أهل مكة أهل ارتحال ، يسافرون في الصيف ، ويرتحلون في الشتاء في تجارات بين الشمال والجنوب ، ويمررون خلال ذلك بديار وبلاد سكنها من قبلهم أقوام يعرفون من شأنهم وأحوالهم أنهم كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالاً ، سكروا هذه الديار ، وأقاموا بها عمراً طويلاً ، وزرعوها وبنوا فيها قصوراً شاهقة تحتوها من المجال ، وأرسل الله فيهم رسلاً دعوهم إلى الحق ، فلم يستجيبوا ، ودعوه إلى الهدى فانحرفوا ، فأخذتهم الله بذلك عذاباً ، وعاقبهم على كفرهم ، فاستحقوا الجزاء الذي وقع بهم حيث دمروا ، وخسفت بهم الأرض ، وما ظلمهم الله بما جرى لهم ولكن الظلم كان منهم .

هلاً تفكر أهل مكة في عاقبة هؤلاء المكذبين ، وكيف أحاط بهم العذاب وأخلوا بأسوأ العقوبات وأشدتها؟! . نتيجة كفرهم ، وعدم إيمانهم برسول الله الذين أرسلهم إليهم ، وجاء استهزائهم وغيهم ، وعيщتهم في الباطل في ضلال وغى .

إن الله سبحانه وتعالى الذي يكذب به من يكذب ، وينحرف عن هديه من ينحرف ، هو الذي يبدأ الخلق ، لا يشاركه في الخلق أحد ، وليس معه

صاحبة ولا ولد، وهؤلاء الذين يطغى عليهم إمهال الله لهم سوف يعلمون -  
حين يبعدهم إليه يوم القيمة؛ لينال كُل جزء ما قدم في الدنيا من الخير والشر  
- أنهم ضيّعوا راحتهم وأمنهم، ونعم الخلد في آخرتهم حين أصْنُوا آذانهم في  
الدنيا عن هدى الله، وحسبوا أنه لا حياة بعد الحياة الدنيا .





وَيَوْمَ تَقُومُ الْأَسَاعَةُ يَبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ⑯  
 وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرٍّ كَاهِرٍ شَفَعَتُوا وَكَانُوا إِشْرَكَاهِرٍ  
 كُفَّارٍ ⑰ وَيَوْمَ تَقُومُ الْأَسَاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ⑱  
 فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ  
 يُخْبَرُونَ ⑲ وَإِنَّمَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِيَوْمِنَا وَلِقَاءِ  
 الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ⑳ فَبِحَدْنَ  
 اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ㉑ وَلَهُ الْحَمْدُ  
 فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِيشَا وَحِينَ تُظَهَرُونَ ㉒  
 بِخُرُجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَبِخُرُجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَبِخُرُجِ  
 الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَّالِكَ بُخْرُجُونَ ㉓

## معاني الكلمات والجمل :

يجلس المجرمون	: يأسون وتنقطع حجتهم.
شركائهم	: زملائهم في الشرك والدعوة إليه.
شفاء	: نصراء ومدافعون عنهم.
يتغرون	: يتفصل بعضهم عن بعض.
روضة	: جنة.
يمحرون	: ينعمون ويسرون ويكرمون.
محضرون	: حاضرون لا يغيرون أبداً.
تقسون	: تدخلون في المساء.
تصبحون	: تدخلون في الصباح.
تظهرون	: يحل بكم وقت الظهور.
تخرجون	: تخبون بعد الموت باخراجحكم من القبور.

## الشـرح

### القيامة والحساب :

المشركون وأهل الفساد والكفر تلهيهم متعهم في الحياة عن التدبر في العاقبة، يخالفون أمر الله، ويجررون وراء أهوائهم ومتاعهم، تجتمعهم صحبة الشر، وتقودهم شياطينهم إلى مباءات الرذيلة والفحش، تأسين لقاء الله وجزاءه، حتى إذا جاء يوم القيمة سقط في أيديهم، وبيتهم ما يردونه، ويومئذ تلجمُ ألسنتهم، وتقطع آمالهم، ولا يجدون من حولهم شيئاً يقف إلى جوارهم، أو حامياً يرد عنهم، أو ناصراً يخرجهم مما هم فيه، من شركاء الأمان وأصحابهم في الدنيا. وحيثذا يكفرون بشركهم وشركائهم، ويعلمون أن الله هو الحق، وأن ما كانوا عليه هو الباطل، وما يفعلون في موقفهم ندم ولا توبة.

يومها، يوم القيمة يُعزّز أهلُ الكفر عن أهل الإيمان ونُفرق الملائكة بينهم فلأهل الإيمان طريقٌ وغايةٌ، ولأهل الكفر مستقرٌ وماوىٌ، أما أهل الإيمان الذين عملوا ما يرضي الله سبحانه وتعالى من صالح الأعمال، وأخلصوا دينهم له وصرفوا همهم في حياتهم إلى الطاعة و فعل الحirات، ففي جنات النعيم، يتعمدون بها أعد الله لهم، ويتمتعون بتكريم الله في سعادة وأمن وراحة، ولا يسمعون إلا ما يسعدهم، ولا تقع عليهم إلا على ما يخافون البهجة والرضا، وأما الكافرون الذين جعلوا آيات الله وراء ظهورهم، وكذبوا برسول الله، وبما دعاهم إليه كتاب الله الذي تزّل معه، وجحدوا البعث والنشور، أولئك يحيط بهم عذاب الله من كل تاحية وتحصرهم نيران الجحيم، لا يغيبون عن طيبة لحظة، ولا تخفل عن إهانتهم ملائكة العذاب.

## تبنيع وحمد :

إذا علمنا أن نهاية كل حي ومصيره ومرجعه إلى يوم يجازى فيه المحسن على إحسانه، وينال السعادة فيه العقوبة على إساءاته ، وعرفنا أن عين الله لا تغفل ولا ت تمام ، وأن علمه عظيم ، وأنه على كل شيء قادر ، فتسبحه وتترجعه وتعظمه يجب أن تلهج به الألسنة وأن يصر القلوب ، وأن يذكر ويشكر في كل وقت وحين ، آناء الليل وأطراف النهار ، وكل شيء يسبح بحمده من كائناته وخلقه ولا يشذ عن ذلك إلا من منحهم الله العقل ليكون نوراً لهم وهذا يعلم يتخلصون ولم يستفروا به فمن انتفع بعقله عرف قدر الله وحده فقدسه وعبده ، وأطاعه وحده ، وحصل له ودعاه في الماء والصباح ، وفي العشي والظهرة ، ذاكراً أن الله سبحانه وتعالى هو المحيي وهو الميت .

فالله سبحانه وتعالى يخرج لنا مما نراه في صورته هامداً لا حرفة فيه ولا حياة ، يُخرج أحياء نابضة متحركة ، فهو سبحانه يخرج من النطفة إنساناً سوياً ، ويخرج من البيض طائراً أو كاناً حيّاً ، كما يخرج من الحياة الجافة والتواة الصلبة زرعاً أخضر ونخلاً باسقاً ، وكما يخرج الحي من الميت يخرج هذه الأشياء الميتة من تدب في الحياة كالنطفة من الإنسان وما تكمن في الحياة كالبيضة من الطير ، وكالحياة من التبات ، أو التواة من ثرات التغيل . وكذلك الأرض القاحلة الجرداء الخامدة المشققة من حلول الجفاف ينزل الله عليها الماء فتحيا بعد الموت ، وتزدهر تربتها وتنبض بالزروع والثمرات ، نرى ذلك كله دليلاً على قدرة الله سبحانه وتعالى على الإيجاد في البدء وعلى القدرة على الإعادة ، وهذا يدل على أن الذي أنشأ الشاة الأولى نهون عليه الإعادة للشاة الآخرة ، وكما نرى من إحياء الله لروات الأشياء ، كذلك يكون الخروج في الآخرة للحساب والجزاء يسراً على الله غير مستعصم على قدرته سبحانه وتعالى .



وَمِنْ هَايَتِهِ

أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ فَمَمَّا إِذَا أَنْتُمْ بَسَرٌ تَتَسْرُونَ ﴿١﴾  
 وَمِنْ هَايَتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا تَسْكُنُوا  
 إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَبِيرٌ  
 لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَمِنْ هَايَتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَالْخَلَقُ أَلْيَتُكُمْ وَالْوَرِنُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَكَبِيرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَمِنْ هَايَتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ  
 وَأَتَغَاوِيْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَبِيرٌ لِقَوْمٍ  
 يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَمِنْ هَايَتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا  
 وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَا كَمْ فَيَحْتَهِ يَهُ أَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَيْتَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑯ وَمِنْ أَيْكَثِهِمْ  
أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَالْأَرْضُ يُأْمِرُهُمْ ثُمَّ إِذَا دَعَا كُفَّارُ دُعَوَةَ  
مِنَ الْأَرْضِ إِذَا آتَيْتُمْ تَخْرُجُونَ ⑰ وَلَهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ كُلُّهُ رَقِينُونَ ⑱ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوا أَنْتَلْقَ  
ثُمَّ يَعْيَدُهُ وَهُوَ أَهْرَنْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمُثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑲ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ  
أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَاءْمَلَكَتِ أَمْتَنَكُمْ مِنْ شُرَكَاهُ  
فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَآءُهُمْ بَخَافُونَهُمْ بَخَافُونَهُمْ أَنفُسُكُمْ  
كَذَلِكَ تُفْصِلُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑳ بَلْ أَتَبْعَثُ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ  
وَمَا هُمْ مِنْ نَصِيرٍ ㉑

## معاني الكلمات والجمل :

- تشرون : تتصرفون وتتفرقون طلباً للرزق .
- من آياته : من دلائل قدرته وعلامات ربوبيته .
- لسكنوا إليها : لتميلوا إليها وتالفوها .
- اختلاف التكم والرانكم : اختلاف اللغات واللهجات وألوان الأجسام .
- متعكم : نور ملككم .
- ابغاؤكم من فضله : طلبكم نعم الله وعطياته .
- خوفاً وطعماً : الخوف من صوت الرعد ولمح البرق والرغبة والشمي .
- نقوم الساء والأرض بأمره : ثبت بلا حمد بقدرته وتدبره .
- من الأرض : وأتم تحت التراب .
- قاتلون : خاضعون مطهرون منقادون .
- يعده : يبعثه بعد البخل .
- أهون عليه : أيسر عليه وأسهل .
- وله مثل الأعلى : الوصف البديع الذي ليس لغيره ما يدانيه .
- عامت ملكت آياتكم : ما يدخل تحت سلطانكم عن مملكون التصرف فيه .
- أنتم فيه سواء : متساوون في التصرف شركاء في الامتنان .
- أهواههم : شهوات نفوسهم ورغباتها .

## الشرح

### آيات من قدرة الله :

في الآيات التالية ترى بعض دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، فهو الذي بدأ الخلق، وهو الذي يدبّر الأمر في السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله لا شريك له، كل ما في الوجود ينقاد له ويختضع خضوعاً كاملاً، ولا يملك أن يتحرك حركة على غير إرادته سبحانه، والذي بدأ الخلق - وهو الله سبحانه وتعالى - هو الذي يعيده، والإعادة أهون عليه، وأيسر، وليس كمثله شيء في السموات والأرض وهو العزيز الغالب، والعادل الحكيم. بدأ خلق الإنسان من تراب، وهو آدم عليه السلام أبو البشر، خلقه واحداً فرداً، ثم خلق زوجه حواء مائلاً له في البشرية، ومساوية معه في الخلق لتمكن بينهما الألفة والودة، فيطمئن إليها وتعلّمها إليه، وتكون بينهما عبة ورحمة، ويتم بينهما التزاوج فإذا الفرد جماعة، وإذا الأرض يعمّرها الخلق من أبنائه في كل مكان يسّرون الحياة، وتقوم بهم الزراعة والصناعة، ويتوارثونها جيلاً من بعد جيل يطورون أساليب العيش حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وفي هذا دليل واضح وقوى للمتذمرين التأملين على قدرة الله سبحانه وتعالى وعلّي وحدانيته.

ومن الدلائل كذلك خلق السموات وما فيها، والأرض وما عليها وما فيها. ومن الدلائل كذلك أن يبدأ الإنسان في الأرض من أب واحد وأم واحدة، ثم تختلف لغاتهم وطجائهم وأصواتهم في مشارق الأرض ومعاربها، كما تختلف الألوان فأبيض وأسود وأصفر، ولو أن الأمر كان على غير ما هو كائن، فكان اللسان واحداً، وكان البشر يتّساوون في اللون لما احتاج الأمر إلى توقف؛ لأنهم في الأصل خلوقون من نفس واحدة هي آدم

أبو البشر ، ولكن هذا التغيير وهذا الاختلاف فيه من البراهين القاطعة ما يدل أهل العلم والتنظر على عظمته الحالق وقدرته . ومن نعم الله أن هيا الليل والنهار ، وجعل الليل سكناً والنهار معاشاً ، وأسieux سكنته في الليل تعين عمل النهار ، وهيا في النهار نشاطاً وحركة ليتمكن الناس من السمعي وبعثي الناس في مناكب الأرض يأكلون من رزقه ويستغون من فضله .

وإذا كان بعض الناس في بعض الوقت يعملون في الليل ، أو ينامون في النهار فإن الأصل المشاهد والمناسب مع النظام الكوني والسنة التي سنها الله للخلق أن الليل للنائم وهو الأنفع والأصح ، وأن النهار للمعاش . وهذا من الأدلة التي يدركها الذين يستمعون إلى الحق فإذا منون به ، ولا يكابرون فيه .

ومن آيات الله كذلك ، ودلائل قدرته وعظمته ، رؤية البرق وما يصبحه من رعد قاصف ، يثير في النفوس الخلع والخوف ، كما يبعث فيها الأمل والرغبة في أن ينزل من السماء المطر فتحيا الأرض بالباتات والخضراء ، والثمرات والنعم من بعد موتها ، وإن أصحاب العقول والقطنة ليجدون نعمة الله في هذا ، كما يجدون في قدرته سبحانه وعظمته .

وكذلك من علامات القدرة أن السموات والأرض خاضعة لأمر الله – سبحانه وتعالى – يسرها بمشيته وفق قوانين ثابتة لا تخرج عنها ولا تحيط .

وإن القراءين التي تحكم الوجود دقيقة متقنة لأنها من صنع العليم الخير وحده لا شريك له ، والله سبحانه وتعالى لا يستعصي عليه شيء ، ويوم يدعوه إلى الحياة من يعيشون في باطن الأرض فيها أسرع ما يحييون من غير توقف ولا تردد ولا تأخير ، وفي قوله تعالى : (( إِذَا دَعَاكُمْ دُعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَتَمْ تَحْرِجُونَ ))<sup>٦٢</sup>

تَوَجْهٌ بِالخطابِ إِلَى أَهْلِ مَكَةَ مِنَ الْمُعَانِدِينَ الْمُكَابِرِينَ الْجَاهِدِينَ لِأَمْرِ الْبَعْثِ،  
وَإِنْ قَدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غَالِبَةٌ، وَإِنْ سُلْطَانَهُ عَلَيْهِمْ نَافِذٌ، وَإِنْ عَتَادُهُمْ يَوْمَهَا لَا  
تَقُومُ لَهُ قَائِمَةٌ وَإِنَّ الْبَعْثَ الَّذِي يَعْجِدُونَهُ حَقٌّ وَاقِعٌ مَبِينٌ.

وَكُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ خَالِقُهُ، وَهُوَ مَدِيرُ أَمْرِهِ، وَمَصْرُفُ  
شَانِهِ، يَخْضُعُ لَهُ الْكُلُّ خَصْوَعًا كَامِلًا، فَالْأَحْيَاءُ أَحْيَاوَهُ، وَالرِّزْقُ رِزْقُهُ،  
وَالْإِفْنَاءُ يَدِيهِ، وَتَصْرِيفُ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ... *أَذْوَرِيلَكَ يَخْلُقُ<sup>١١٩</sup>  
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ<sup>١٢٠</sup>*.

بَذْنَةُ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ، وَأَمْرُ الْإِعْادَةِ إِلَيْهِ، وَالْخَلْقُ ابْتِدَاءٌ عِنْدَ مَنْ يَعْقُلُ  
أَصْعَبُ مِنَ الْإِعْادَةِ، أَمَا وَقْدَ بَدَا الْخَلْقُ فَالْإِعْادَةُ إِذَاً أَيْسَرُ وَأَهْوَنُ، وَشَانِهَا  
أَسْهَلُ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْتَبِطُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَعْوَدَةً وَسَهْوَلَةً فِي الْخَلْقِ وَغَيْرِهِ،  
فَقُدْرَتُهُ سُبْحَانَهُ مُطْلَقَةٌ، وَلَكِنْ ذَلِكَ يَأْتِي لِتَغْرِيبِ حَقِيقَةِ الْخَلْقِ وَالْإِيمَاجَادِ إِلَى  
عُقُولِ الْبَشَرِ وَإِذْرَاكِهِمْ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

« لَيْسَ كَثِلَّهُ مَقْرِئٌ »<sup>١٢١</sup>.

فِيهِ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقُ عِبَادَهُ لَا غَالِبَ لَهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي  
أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي كُلِّ شَانِهِ - سُبْحَانَهُ جَلَّ عَلَاهُ.

مِثْلُ الْمَقْلَاءِ :

يَخْرُبُ اللَّهُ مُثْلًا لِمَنْ يَعْقُلُ لِعَلِهِ يَدْرِكُ مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاحِدٌ لَا  
شَرِيكَ لَهُ، وَالْمَثَلُ يَأْتِي بِصِيغَةِ سُؤَالٍ : هَلْ يَقْبِلُ أَحَدٌ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهَا يَمْلِكُهُ مَا  
اَكْتَبَهُ مِنْ جَهَدِهِ وَكَدْحِهِ أَحَدٌ مِنْ يَعْلَمُ شَانِهِ أَوْ النَّصْرَفَ فِيهِمْ مِنْ العِيَدِ  
وَالْإِمَاءَ، أَوْ الْخَدْمَ وَالْأَجْرَاءِ - ١١٩ وَكَانَ الرُّقْ شَائِعًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

(١١) الفصل آية ٦٥.

(١٢) التبروي : آية ١٧.

— ولهؤلاء الشركاء حق التصرف في هذا المال، وإنفاقه كما يشاءون مثل أصحاب المال تماماً كـما لو كانوا يشاركون حقيقة في ملكه؟ الجواب على القطع: لا، فـما يرضي أحد أن يشاركه ماله أحد، ولا أن يتصرف فيها بملكه سواه.

ولكن الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد اتبعوا نزغات الشيطان، وما يدعون إليه ميل النفوس المترفة وهو أنها البطل فعيدوا من دون الله شركاء، وجعلوا له أنداداً، فـهم لا يقبلون بالقطع أن يشاركون في مالهم الخاص بهم أحد، ومع ذلك يقبلون أن يشاركون مع الخالق الواحد من لا يحسن خلقاً ولا يملك نفعاً ولا ضراً.

وـلهؤلاء خلوا وانحرفوا، ولم يقدر لهم الله سبحانه وتعالى المداية، فـما يقدر أحد على هدايتهم، ولم يجدوا من يحميهم من عذاب الله، أو ينصرهم، فـفيهم من حقاـبه.



فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُ<sup>١</sup>  
 فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي قَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ  
 ذَلِكَ الَّذِينَ أَقْرَبُ<sup>٢</sup> وَلَكِنَّ الْكُثُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ<sup>٣</sup>  
 \* مُنَبِّئِينَ إِلَيْهِ وَأَنْقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ<sup>٤</sup> مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا يُشَيِّعُ  
 كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدُهُمْ فَرِحُونَ<sup>٥</sup> وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ  
 دَعُوا رَبَّهُمْ مُنَبِّئِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا  
 فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَرْجِعُهُمْ يُشَرِّكُونَ<sup>٦</sup> لِيَكُفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ  
 فَتَمْتَعُوا فَوْفَ تَعْلَمُونَ<sup>٧</sup> أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا  
 فَهُوَ يَكْلُمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشَرِّكُونَ<sup>٨</sup> وَإِذَا أَذْفَنَ

النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سُبْتَةٌ إِنَّمَا قَدَّمَتْ  
أَيْلَيْهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتَلُونَ ⑤ أَوْلَئِرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لِّقُومٍ  
يُؤْمِنُونَ ⑥ فَعَاتِهَا الْفُرْقَانِ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ  
الْأَبْلَى ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَيْهِمْ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ⑦ وَمَا أَتَيْتُمْ مِّنْ رِبَابٍ لَّيْرَوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ  
فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَتَيْتُمْ مِّنْ زَكْرَةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ  
فَأَوْلَيْهِمْ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ⑧ اللَّهُ أَلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ  
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبَتَّكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءَ لَكُمْ مَنْ يَقْعُلُ  
مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ⑨

## معاني الكلمات والجمل :

أقم وجهك	: أقبل إقبالاً كاملاً واتبعت على ما أنت عليه.
حنيناً	: مانلاً عن الباطل.
فطرة الله	: الحالة التي خلق الله الناس عليها من الميل للحق.
لا تبدل خلق الله	: لا تبدل الفطرة ولا تغير.
القيم	: المستقيم الذي لا اعر حاج فيه.
سبعين إليه	: راجعين إليه بالtorية واحلاص العمل.
وأنقروه	: راقبوه وافعلوا ما يرضيه.
فرقوا دينهم	: تفرقوا إلى طوائف.
شيئاً	: فرقاً وأحزاباً.
حزب	: فرقة وطائفة.
مس الناس ضر	: أهباب الناس شدة وضرر.
آذاقه منه رحمة	: شملهم بنعمه وغيرهم بإحسانه.
سلطاناً	: كتاباً أو حجة.
يقتطرون	: يتأسون من رحمة الله.
يقدر	: يُضيق.
السخين	: المحتاج المتغافل.
ابن السبيل	: الذي خاع ماله أو نقد بعيداً عن بيته وأهله.
ليربو	: ليزيد.
المضعون	: أصحاب الحسناوات المضاغعة.

## الشرح

نطرة الله :

جاء الإسلام ديناً خاتماً هادياً للبشرية، عرجاً لها من الظلمات إلى النور، وكان أول من سمع الوحي - أول الأمر ووجهت إليه دعوة الحق - هو رسول الله - صل الله عليه وسلم - فكان أولى الناس بالاتباع وأولهم في الانقياد، فهو القدوة وهو الأسوة الحسنة.

ومن هنا ترجمة إليه الخطاب أن يهتم بأمر الدين ويخلص قصده له والألا يشغل نفسه بتكذيب المكذبين مبيناً أن هذا الدين هو دين الله المستقيم الموافق للأصل الذي خلق عليه الإنسان ، والذي لا يكلف الناس بها يعسر عليهم ، أو لا تطمعن نفوسهم إليه ، فالإسلام يدعوهم إلى الخير ، أو إلى ما تقرب به نفوسهم ، ويسرح حدودهم ، ويطمئن حياتهم ، ويضفي عليها السلام والرضا ، وبهذا للناس جواً من الألفة والمحبة والتعاون ، ويسط على الحياة ظلال السماحة والإخاء ، وبهذا الناس لنعمون مقيم خالد بعد هذه الحياة .

دين الإسلام الذي يُوجّه الرسول - صل الله عليه وسلم - إلى التزامه ، وصرف عنه إليه هو الدين القويم ، وصراط الله المستقيم ، وهذه إلٰى الحق أجمعين ، وإن جهل ذلك كثير من الناس ، ويأمر الرسول ومن معه من المؤمنين أن يسلموا قيادهم لله ، وأن يرجعوا إليه بقلوب خلصة إليه طائعة ، تخشاه وتعرف له قدره وعظمته ، واستحقاقه وحده للتقدیس والعبادة ، وأن يقيموا الصلاة خالصة له يتمثل فيها مع طاعة الله شكره على نعمه ، ورجاه مرضاته ، وألا يكونوا متفرقين متناقضين ، وإنما يمثلون الوحدة والتضامن والتآخي ، تجمعهم العقيدة الواحدة ، والمدار الواحد ،

والغاية الواحدة، فأهل الشرك وحدهم هم الذين يتفرقون جماعات متاخرة متعادبة لكل جماعة إله وعقيدة وطقوس، وكل جماعة منهم تتصرّ لعقيدتها الباطلة. ودينها الزائف، وتفرّج بما عندها في دينها، مما أملأه عليهم الشيطان وتغلبت به على هداهم سطوة الأهواء.

### الإيّان المؤقت :

الإيّان الثابت عند المؤمنين يقوم على اليقين والفهم والأخلاق والاقتناع، فلا يهتز المؤمنون أمام الأحداث، ولا تزيدهم الأيام إلا ثباتاً ورسوخاً. أما غيرهم فلا يعرفون الإيّان إلا مع الشدة وعند الضرورة أو الالم، أو الخوف .

هؤلاء سادرون في غوايّتهم، يسرون مع شهوات نفوسهم أيّها سارت، حتى إذا وقعوا في ورطة أو أحاط بهم خطر، أو تهدّدهم شيء عرفوا الله وبلغوا إليه، واستمسكوا بحبله وأثابوا نادمين تائبين، حتى إذا ألبّهم الله رحمته، ونجاهم مما هم فيه، رجعوا كـما كانوا وكفروا بربّهم، وأشاروا معه شركاء يخشوّنهم كخشية الله ويعبدون لهم، وهو وحده الحقيق بالعبادة..

هؤلاء لا يقام لهم وزن ولا يعقل بكفرهم، فالله هو الغنى عن العالمين، لا يزيد في عظمته إيمان مؤمن، ولا ينقص من جلاله كفر كافر، وإنما ينفع الإيّانُ صاحبه، ويؤذى الكفر حامله، وهؤلاء الذين يعطّلهم الله فيجدون عطاهم، وينعمون بخيره، ولا يؤذون حتى الشكر، أولئك سوف يعلمون عند الجزاء أنّهم قدموه لأنفسهم شر ما يقدّم، وسيعلمون صدق وعد الله، وشديد عذابه.

وعجب أمر هؤلاء وأمر اصرارهم على الكفر، وعلى الجحود، وعلى الغفلة، فهل عندهم كتاب أو حجة، أو رسول تنزل فيهم يؤكد لهم صحة ما هم عليه من الشرك، وما هم فيه من الباطل؟!

## ألا ما أنتَ هِيَ الْعُقُولُ، وَمَا أَكْثَرُ سَفَهٍ أَصْحَابُهَا!

والإنسان الذي لم يلامس الإيمان قلبه، ولم يسط ظله عل عقله ونفسه، يتاثر بالأحداث من حوله، فهو فرح إذا أصابه نعمة، وهو يائس إذا أصابته محنّة، فإذا توسع رزقه، وصح بدنّه، فكثر أولاده، وخففت أمانته فرح، وشغله فرحة عن شكر المنعم، وإن حل به مكره كمرقس أو ضيق أو فقد عزيز عليه، حط عليه اليأس من فرج الله، فوقع فريسة للشيطان، وهو لا في غفلة عن أن مشيئة الله غالبة، وأنه حين يسط الرزق لمن يشاء يسطه لحكمة، وحين يضيق على من يشاء فلهذه غاية، ولكن الذين يؤمنون يعلمون ذلك فلا يغرهم بسط الرزق، ولا ينفهم الضيق، شاكرون في كل حال، صابرون على البأس والضراء، والفرق بين أهل الإيمان واليقين وبين غيرهم أن غيرهم يصيبهم ما يكرهون نتيجة سوء فهمهم، وكثرة ذنوبهم، أما أهل الإيمان فيصيبهم ليتضاعف بذلك أجراهم ويعظم في الآخرة جزاهم، ولبيكُر الله بها عنهم ذنوبهم وخطاياهم، وقد دخل أحد الصحابة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُوحَّد<sup>(١)</sup>. فقال: يا رسول الله إنك تُوعَّدُ وعِكَاراً شديداً فقال: (أجل إنّي أوعَّتُ كمَا يُوعَّدُ رجلاً مِنْكُمْ). قلت: ذلك أن لك أجررين. قال: أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُ أَذى شَوْكَةٍ فِي فُوقِهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تُحْكَمُ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينام.

(٢) روى البيهقي.

## دعاة إلى الخير :

لا يغفل المسلم عندما يقدم شيئاً من المال لأصحاب الحاجات من الأقرباء وغيرهم وإنما هو حق وواجب، وهذه الآيات تأمر في حزم قاطع رسول الله - صل الله عليه وسلم - وتأمر كذلك أهل الإيان بأن يقدموا من أموالهم ما يسد حاجة قرابتهم ، وأن يخرجوا زكاة الأموال لأصحابها ومن بينهم المساكين الذين لا يسألون الناس حاجتهم ، كما جاء في حديث رسول الله - صل الله عليه وسلم - : (ليس المسكون بالعطاؤف عليكم أن تعطموه لقمة لقمة ، إنما المسكون المتعطف الذي لا يسأل الناس الحافا) <sup>(١)</sup> .

ومنهم كذلك ابن السبيل الذي انقطع عن بلده ونفت أو شاعت تقوده ، وأصبح في حاجة ماسة إلى ما يبلغه بلده عزيزاً مكرماً .

هذا الذي يقدمه الإنسان من المال إنما هو خير ساقه الله إليه ، وعمل صالح يقرره من الله سبحانه وتعالى . والذين يفعلونه راضية به نقوصهم ، سخية به أيديهم ، لا يزدون الواجب فحسب وإنما هم أهل الفوز والفلاح ، أما الذين يظلون أن أمرأ لهم تزيد حينها بضاعفونها عن طريق الربا واستغلال أصحاب الحاجات فهم راهبون ، فالزيادة الحقيقة في المال هي بركته ، وقدرته على قضاء الحاجات النافعة ، وهي أيضاً هذه التب嗟ة النهاية التي تحمل من المال نعياً . وسبيل ذلك هو ما يُقدم حقاً لله سبحانه وتعالى بقصد طاعته وتحصيل رضاه .

والذين يفعلون ذلك هم الذين يزيدون أمرأ لهم ، وإن نقصت في الصورة ، وبضاعفونها أضعافاً كثيرة ، وإن نقصت أرقامها أو قل مقدارها الكمي .

(١) مسند الإمام أحمد .

الله وحده هو الخالق ، وهو وحده الرزاق ، وهو الذي يحيي ويميت ، هذه  
حقائق يحسها الكل ، ويدركها جميع الخلق ، وهي مستقرة في أعماق أهل  
الشرك ، ويعلمون يقيناً أن ذلك لله وحده ، لا يفعل شركاً لهم شيئاً  
منه . تعلي الله عن شركهم وتقديس عن جهانهم واقترانهم ، له الملك وحده ،  
وله الکبریاء في السموات والأرض وهو الواحد الأحد ، لا إله إلا هو .





ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتِ الْأَنْسَابُ  
 لِيُذْكُرُهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا إِلَّا هُمْ يَرْجِعُونَ ⑪  
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَدْيَةُ الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِكُمْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ⑫ فَاقْرِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ  
 أَلْقَيْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرْدَلْهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ  
 يَصْدِعُونَ ⑬ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
 فَلَا نُنْهِيْمُ بِمَهْدُونَ ⑭ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكُفَّارِ ⑮  
 وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْسِلَ الْرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذْكِرَكُمْ  
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَنْتَفِعُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَكَلَّمُكُنْ شَكُونَ ⑯ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رَسُولًا إِلَيْنَا  
قَوْمَهُمْ بَعَاهُ وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا  
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْعُوْمَيْنِ ⑰ اللَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ يَرِسُلُ  
الرَّحْمَنَ فَتُبَشِّرُ بَحَابًا فِي بَسْطَهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَسَّأَةُ  
وَيَجْعَلُهُ كَفَاهَا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْلِهِ فَإِذَا  
أَصَابَ يَهُودَ مِنْ يَسَّاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِّشُونَ ⑱  
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَعْلَلِيْنَ ⑲  
فَانْظُرْ إِلَيْهِ أَثْرِرَ رَحْمَتَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑳  
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَاوَهُ مُصْفَرًا لَظَلَّوْا مِنْ بَعْدِهِ  
يَكْفُرُونَ ㉑ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الْحَمَّ  
الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ ㉒ وَمَا أَنْتَ رَهِيدٌ لِالْعُقَىٰ عَنْ

**ضَلَّلُتْهُمْ إِنْ تُسْمِعُ الْأَمَانَ يُؤْمِنُ بِعَيْنِتَنَا فَهُمْ مُشْلُونَ ٦٦**

## معان الكلمات والجمل :

الفساد : سوء الحال .

بما كتب أيدي الناس : بمعاشرهم وذريتهم .

ليديفهم بعض الذي عملوا : ليجازيم من عذاب جراء ما فعلوا من  
المعاصي .

لا مرد له : لا يقدر أحد على رده .

يصلدون : يتفرقون .

فعليه كفره : فيلزم منه جراء كفره وتكذيبه .

يمهدون : يدعون لأنفسهم منازل في الجنة .

مبشرات : مزارات بالخير .

فانتقمنا : عذبنا وجازينا .

الذين أجرموا : الذين ارتكبوا الأثام وكذبوا رسالتهم .

تشير سحاباً : تنشره وتحركه .

فيسطه : ينتشر .

كسفاً : قطعاً .

الورق : المطر .

من خلاله : من بين فروجه وشقوقه .

يستبشرون : يفرجون ويسعدون .

: ساكين من شدة الحزن يائسين	ميسين
: نتيجة رحمة الله يأنزال المطر.	آثار رحمة الله
: ذابلأ باهت اللون.	محضرا
: الذين تعطلت لديهم حاسة السمع.	الصم
: هاربين متياudين.	مدبرين

## الشرع

المناسبة الجزاء للعمل :

الله سبحانه وتعالى عظيم قوي لا شريك له في ملکه ، يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل ، وهو عادل في كل شأن ، وحكيم في كل أمر ، وهو واسع الرحمة ، كثير الإمهال .

وقد تمر في حياة الناس مصاعب أو مصائب ، وقد يحيط بهم البلاء وتضيق بهم مسالك الحياة ، ويتصف بهم الخوف ، وتتغير أحوالهم ويبدل الحسن من أمورهم شيئاً ، وقد لا يتوقف أحد منهم لعام هذا كله ساللاً نفسه عن البُب فيها حل بهم أو جدٌ عليهم ، والحق أن ما أصابهم وما أحاط بهم من الفساد الذي عم كل مكان في البر وفي البحر إنما كان بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ومخالفتهم لأمر الله سبحانه وتعالى والخروج على طاعته .

وينزل بهم ذلك كله تحذيراً وإنذاراً قبل أن ينقطعوا عن طريق الرجعة ، وينخرج الأمر من أيديهم ، ويقعوا في العذاب المقيم .

وهو سبحانه وتعالى يتذرهم ، ويخلط لهم ، ويدعوهم إلى التوبة والتندم فإن همْ صلحت قلوبهم وأعماهم ، أصلح أحوالهم وأصلاح بالهم .

ويدعو الله سبحانه وتعالى رسوله إلى أن يوجهه من أرسل إليهم لأن يتبعها إلى عاقبة التكذيب وبهادة المكتتبين ، ويرشدهم إلى السير في البلاد التي تحيط بهم ، والتي كانت تسكنها من قبلهم أمم أشد قوة وراساً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، وعمروا الأرض أكثر مما ععروها ، وجاءتهم هداية الله فحرّكوا عنها وجراههم ، وأداروا لها ظهورهم ، فدكّهم الله دكاً ، وجعل على بلادهم سافلها ، وساق عليهم عذابه الذي لم تقم لهم من بعده قانعة ، جزاء التكذيب والشك . ثم يأمر رسوله ألا يشغله تكذيبهم عن موصلة

سيرة حيث وجهه الله لهذا الدين القويم، يحمل رايته، ويدعو إلى ربه، ويأخذ بيدي الناس إلى نور الله وإلى صلاح الحياة قبل أن يأتي اليوم الذي لا يتحول ولا يرتد، وهو يوم القيمة، إذ لا يملك أحد أن يرجع عنه، ولا أن ينصرف منه، وهو اليوم الذي يأخذ كل فريق فيه جزاءه، فالذين كفروا يحملون على ظهورهم أوزار كفرهم تكبّهم في النار، والذين آمنوا بالله ورسله، وقضوا حياتهم في الصالحات فمهدوا لأنفسهم مكاناً عند الله، يكافئهم سبحانه بما أعد له من نعيم لا ينتهي على طاعتهم، وسيغ عليهم لضله لأن الله سبحانه وتعالى يحب أهل الإيمان، ولا يحب الكافرين الذين حادوا عن طريق الخير والهدى والصلاح.

### نعم الله لا يحصيها العدد :

إن نعم الله على الإنسان كثيرة لا تحصر ولا تحصى، ومن عظائم نعمه هذه الرياح الطيبة التي تحمل في طياتها ما يدخل على النفوس البهجة، وما يفيض على الأرض الخصب والنماء، بما تحمله من المطر الذي يفرح الناس بتزوله، ويتوجهون بعده، ل حاجتهم الماسة إليه في كل صغيرة وكبيرة في أمور حياتهم.

والله سبحانه وتعالى حين يرسل الرياح إنما يرسلها ليعتّم خلقه بنعمه، فبنعمها في ظل رحته، وليس مهنة الريح فقط أنها تحمل المطر الذي يجلب الخصب والزرع ولكن لها منافع لا يحصيها العد: فمنها إنها تعين السفن في سيرها في البحار وهي تحمل الناس من بلد إلى بلد، كما ينقلون فيها تجاراتهم ووسائل حياتهم، وكذلك تقوم بتلقيح النبات إلى غير ذلك من النعم والعطايا الكامنة في إرسال الرياح مما يستوجب التفات العقول إلى نعم الله حتى تقوم على شكرها.

رسُرِّي ربُّ العزة سبحانه وتعالى عن نبيه - عليه الصلاة والسلام - وقع تكذيب المكذبين، وانصراف المشركين عن الاستجابة له، حين يذكر

أَنَّهُ سَبَحَانَهُ أَرْسَلَ رَسُولًا مِّنْ قَبْلِ يَالْبَرَاهِينَ السَّاطِعَةِ، وَالْحَجَجُ الْقَاطِعَةُ إِلَى  
أَقْوَامٍ قَبْلَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ، فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ، وَمَنْ  
أَسْأَءَ اسْتِقْبَالَ دُعْوَتِهِمْ وَارْتَكَبَ الْجُرْمَانِ وَالْمُعَاصِيَ الَّتِي حُذِّرُوا مِنْ ارْتِكَابِهَا -  
عَاقِبَهُمُ اللَّهُ أَسْوَأَ عِقَابٍ عَلَى أَفْعَالِهِمْ تِلْكَ، أَمَّا أَهْلُ الْإِيَّانَ وَالطَّاعَةِ، فَاللَّهُ  
سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى بِسْطُ عَلَيْهِمْ خَلَهُ، وَحَقَّ لَهُمُ النَّصْرُ، وَكَبَّهُ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي  
كُلِّ مَكَانٍ، وَعَلَى مِنْ الْأَزْمَانِ، وَفِي هَذَا تَشْجِيعٍ عَلَى الْإِيَّانَ، وَتَحْذِيرٍ مِّنَ  
الْكُفْرِ وَالشُّرُكِ وَالْمُعَاصِيِّ . وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّياْحَ فَتَدْفَعُ  
أَمَّا مَهَا السَّحَابُ الْمَحْمَلُ بِالْمَطْرِ، وَهُوَ وَحْدَهُ سَبَحَانُهُ الَّذِي يَسْطِعُ السَّحَابُ فِي  
السَّمَاءِ، وَيَقْدِرُ لَهُ مَوَاضِعُ هَطْوَلِهِ مَطْرًا، فَيَقْسِمُهُ قَطْعًا بِمُشَيْتِهِ سَبَحَانُهُ وَبِسْتِهِ  
الْكُوْنِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْحُولُ وَلَا تَبْدُلُ وَالَّتِي لَا يَشَارِكُهُ فِي تَصْرِيفِهَا أَحَدٌ، فَيَنْزَلُ  
الْمَطْرُ فِي بَعْضِ الْبَلَادِ كَثِيرًا، وَفِي الْبَعْضِ قَلِيلًا، وَفِي أَماَكِنَ يَنْزَلُ فِي الصِّيفِ،  
وَفِي أَخْرَى يَنْزَلُ فِي الشَّتَاءِ، وَيَنْزَلُ فِي غَيْرِهَا فِي أَماَكِنَ أَخْرَى، وَمِنْ خَلَالِ  
السَّحَابِ تَرَى فَطَرَاتِ الْمَطْرِ تَنْزَلُ فَيَتَبَعُهُ طَرَفُ الْعِبَادِ وَيَسْتَبَرُونَ، وَكَانُوا قَبْلَ  
نَزْوَلِهِ عَلَيْهِمْ يَتَلْمِسُونَهُ، وَيَتَظَارُونَهُ فِي قَلْقٍ وَوَحْشَةٍ وَيَاسٍ .

ثُمَّ يَوْجِه نَظَرُ التَّاجِرِ إِلَى تَأْمِلِ آثارِ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنَ الْغَيْثِ، وَالنَّبَاتِ وَالأشْجَارِ  
لِتَأْمِلُ قَدْرَةَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ يَسْعِيُ الْأَرْضَ بِالْمَطْرِ وَكَيْفَ يَحْوِلُ مُوتَاهَا  
وَضَمُورَهَا نَضْرَةً وَبَهْجَةً تَسْرُّ العَيْنَ وَتَشْرُحُ الصَّدْورِ، ثُمَّ يَقَامُ مِنْ هَذَا دَلِيلٍ  
عَلَى أَنَّ الَّذِي قَدَرَ عَلَى هَذَا الإِحْيَاءِ هُوَ الَّذِي سَيْحِيُ الْمَوْتَى، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى  
إِحْيَائِهِمْ لَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَلَوْ أَنَّ الرَّبِيعَ الَّتِي يَرْسِلُهَا اللَّهُ لَمْ تَحْمِلْ فِي أَطْوَانِهَا الْخَيْرَ، وَلَمْ تَسْقُ أَمَّا مَهَا  
الْمَطْرُ، وَإِنَّا كَانَتْ رِيحًا تَنْقُلُ عَلَى النَّفُوسِ بِمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْرَيَةَ، وَمَا تَبْيَهُ مِنْ  
أَضْرَارَ، وَتَنْقُلُ الْأَرْضَ عَلَى تَعْطِيشِهَا وَيَتَرَاهُ الْزَرْعُ لِأَصْحَابِهِ ذَابِلًا، مَصْفَرًا  
لِعَادِوَيْهِمْ وَقَنْوَطِهِمْ، وَمَا شَكَرُوا اللَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ سَابِقَةٍ، وَلَا رَجُوهُ لَأْمَلٍ  
مُسْتَقْبِلٍ، وَلَكَانَ الْكُفْرُ إِلَى قَلُوبِهِمْ وَعَقُولِهِمْ أَسْبِقُ، وَلَا نَصْرَفُوا عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ  
إِلَى الْحَقِّ وَالْإِسْتِجَابَةِ لِهِ .

## مهمة الرسول :

الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُعَاةٌ إِلَى اللَّهِ يَهْدِي بِدُعَوَتِهِمْ مِنْ فَتْحِ قَلْبِهِ لِلْإِيمَانِ، وَيَصْدُدُ عَنْهَا مِنْ أَغْلَقَ مَنَافِذَهُ وَعَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، وَهُؤُلَاءِ لَا خَيْرٌ فِيهِمْ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُ لَهُمْ أَوْ لِأَمْثَالِهِمْ تَأْثِيرٌ عَلَى مِسْرَةِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَكُلُّ دُعَوَةٍ تَصَادِفُ مِنْ يَتَصَرَّ هُنَّا، وَمِنْ يَعَادُهُنَّا، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَصْمُمُونَ أَذْانَهُمْ دُونَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَيَغْمُضُونَ أَعْيُنَهُمْ عَنِ التُّورِ وَالْفَلَاحِ، وَهُنَّا تَعْلُبُ الْآيَاتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَلَا يَقْنَطُهُمْ مِنْ يَكْذِبُ بِهِ، وَيَصُورُ الَّذِي لَيْسَ يَنْصُرُ فِي الْحَقِّ وَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُ، وَلَا يَلْقَى بِالْهُدَى وَقَلْبَهُ لَهُ بِالْمِلْتِ الَّذِي لَيْسَ فِي قُدْرَتِهِ الْإِسْتِجَابَةُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ مِنْ حَوْلِهِ، وَكَذَلِكَ يَشَهِّدُونَ فَقَدُوا السَّمْعَ، فَلَا يَسْمَعُ هُؤُلَاءِ نَدَاءَهُنَّا حَتَّى يَسْتَجِيبُوهُنَّا لِلْمَنَادِي وَدُعَوَتِهِ، وَيَطْمَئِنُ اللَّهُ سَبِّحَاهُ وَتَعَالَى تَبَّاهُ أَنَّهُ أَدَى الرِّسَالَةَ وَبَلَّغَ الْأَمَانَةَ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مَكْلُوفٍ بِأَكْثَرِ مِنَ الْبَلَاغِ، وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي إِلَّا مَنْ هِيَ اللَّهُ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ لِلْهُدَى، وَعَيْنُهُ بِحْسَنِ إِقْبَالِهِ عَلَى الْخَيْرِ لِلْإِيمَانِ وَالْفَلَاحِ.

وَلَا يَسْمَعُ الْهُدَايَةَ مِنْ أَغْلَقَ قَلْبَهُ دُونَ أَنْوَارِهَا، وَلَا تَبْلُغُ الرِّسَالَةَ مِنْ وَضْعِ أَصَابِعِهِ فِي أَذْنَيْهِ وَأَعْرَضُ هَارِبًا مِنَ الْحَقِّ وَمِنَ الْإِيمَانِ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ إِلَّا عَنِ الْبَاطِلِ وَالْفَسَادِ وَشَهَرَاتِ النَّفْسِ وَالْأَهْوَاءِ.

أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ هُوَ وَحْدَهُمْ يَصْرِفُونَ إِلَى الْحَقِّ قُلُوبَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، وَيَسْلُكُونَ طَرِيقَ اللَّهِ مُسْلِمِينَ وَجُوْهِهِمْ وَقِيَادُهُمْ لِطَاعَتِهِ، وَفَهُمْ آيَاتُهُ، وَالْعَمَلُ لِرِحْمَاتِهِ، مُوازِنِينَ بَيْنَ صَالِحِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَجِدُونَ سِيَّلًا إِلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَفِي الْكِتَابِ السَّاُوِيَّةِ الْمُرْزَلَةِ مِنْ عَنْدِهِ تَعَالَى .



\* أَللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ  
 ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَبَهَ بِخَلْقِ  
 مَا يَسِّأَءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ④٥٧ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ  
 الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ④٥٨  
 وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَيَتَّمَّ فِي كِتَابٍ  
 أَللّهُمَّ يَوْمَ الْبَعْثَ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثَ وَلَكِنَّكُمْ لَمْ تُعْلَمُمُ  
 لَا تَعْلَمُونَ ④٥٩ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ  
 وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ④٦٠ وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا  
 الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَهُنْ جَثَثُهُمْ بِقَاتِلَهُ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا إِنَّ أَنْتَ مَا لَا مُبِطِلُونَ ④٦١ كَذَلِكَ يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَى

قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
 وَلَا يَسْتَخْفِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿١٧﴾

### معاني الكلمات والجمل :

ضعف	: نطفة.
ضعفاً وثيبة	: يقصد حال الشيخوخة والمرم .
الساعة	: البعث والقيامة .
ما بليوا	: ما أقاموا .
غير ساعة	: إلا وقتاً قصيراً .
يوفكون	: يصررون عن الحق .
الذين أوتوا العلم	: الذين آمنوا عن يقين ومعرفة وفهم .
ولا هم يستعثرون	: لا يطلب منهم استرضاء الله وإزالة غضبه عليهم .
ولئن جئتهم بآية	: ولئن أتيتهم بمعجزة .
مبطلون	: أصحاب باطل .
يطبع	: يختتم .
لا يستخفنك	: يحملنك على الخفة والقلق .
لا يوقنون	: لا يصدقون ولا يؤمنون بيقيناً .

## الشرح

### خلق الإنسان :

في خلق الإنسان ومراحل تطور حياته بدءاً واتهاء دلائل واضحات على قدرة الله تعالى ، لو تأملها أي عاقل لدعته إلى الإيمان وهدته إلى اليقين .

فالإنسان يبدأ - حين يبدأ - من نطفة ضعيفة ، ثم يولد كذلك ضعيفاً لا يقدر على شيء ، ويتضو مع الأيام حتى يكمل عوده ، ويصلب بنائه ويشتد ساعده ، ويقوى على مواجهة الحياة بعقله الذي تكاملت له أبواب الرشد والتضرج ، ونمت معه على مسار عمره التجارب والخبرات ، ثم يطول به الزمن ، ويلغى الشيخوخة فيذهب إليه الوهن ، ويعود ضعيفاً كما بدأ .

وهكذا يصر فـ الله وينتقل به في الخلق مرحلة عن بعد مرحلة ، لا يملك أن يسبق ولا أن يرجع ، هو خلق الله ، والله يخلق ما يشاء وهو العليم بما يفعل ، الحكيم الواسع القدرة ، الذي يملك كل شيء ولا يعجزه شيء .

إن هذا الخلق في قبضة مدبرة ، ترسم لكل كائن أجله وأحواله ، وأطواره وفق علم عظيم ، وتقدير دقيق ، يستوجب من أصحاب العقول كمال الخضوع لله سبحانه وتعالى واجتناب معصيته ، حتى لا تفوت الدنيا وتضيع الآخرة .

### قام الساحة :

حين يأتي يوم القيمة ، ويخرج الناس من قبورهم ويصطفون للحساب ، يُقسم أهل الكفر بعضهم لبعض - أنهم ما أقاموا - إما في قبورهم وإما في حيائهم الدنيا غير وقت قليل وأنهم لم ينالوا فرصة التأمل والتدبر ، وهم في هذا ينصرفون عن الحق ، ويغرقون لأذاتهم في الباطل ، ولقد كانوا في الدنيا

على مثل هذا الحال ، يعرضون عن الصواب ، وينغمسون في الضلال ، ويدبرون ظهورهم للحق والإيمان ، ويملؤن أنفسهم في الأوهام والكفر .

أما أهل الإيمان الذين تنزل عليهم الحق فآمنوا به وتعلموا من خلال ما كان وما يكون فلأنهم يتبعون أهل الكفر إلى أنهم أقاموا إلى الأجل الذي قدره الله ، ووصلوا إلى يوم البعث الذي كانوا يكذبون به من قبل ، وكانتوا يقدرون أنهم سوف يبلغونه ، ولا زاد معهم فيه يجميهم من مصير عبود .  
ونار حامية لا تبقى ولا تذر .

في هذا اليوم العصيب الذي لا يسلم فيه إلا من أتى الله بقلب سليم ، وإيمان صحيح ، وعمل صالح ، ولا ينفع فيه اعتذار هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي والإصرار على الذنب . في هذا اليوم لا يقبل من هؤلاء عذر ، ولا يفتح لهم ذلك المجال الذي كان يفتح لهم في الدنيا ، دعوة إلى التائب ، أو سبيلاً إلى الرجوع والتندم . وكم من الفرصة أتيحت لهم من قبل في الدنيا ، كي يعودوا عن كفرهم وعن ظلمهم لأنفسهم ، ولكنهم أصرروا واستكثروا ، فحق عليهم سوء العذاب .

### هذا القرآن :

إن القرآن الذي أنزله الله كتاباً مثيراً ، وسراجاً هادياً في خاتمة الرسالات لم يدع وسيلة لإيقاظ القلوب والعقول إلا طرقها ، ولا مجالاً من مجالات العلم إلا سلكه . ولقد خاطب العقول والقلوب في كل بيضة وكل عبطة ، وهو يخاطب النفس البشرية في كل حالة وفي كل طور ، لم يترك على من علوم الأولين والأخرین إلا قدمَ فيه للبشرية – حتى يرث الله الأرض ومن عليها – ما ينفع ويفيد . ولم يترك أمراً من الأمور التي تصلح الدنيا وتعمرها بالخير والفلاح إلا شرع للناس فيه حكماً أو مهد لهم إليه طرقاً ، ولم يدع أمراً من أمور الآخرة إلا وضعه في صورة يكاد يلمس فيها ويخس ، ولكن

الذين كفروا يكذبون بكل آية ويتطاولون على أهل العلم الصحيح والإيمان  
القويم ويصفونهم بأنهم كاذبون مبطنون مزورون .

وهكذا يتميز الكفار عن أهل الإيمان بهذا الحجاب الذي غيب عنهم نور  
الحق . وهكذا أسللت على قلوبهم أستار ختم عليها بالجهل ، فلا تعرف إلى  
الحكمة ولا إلى العلم ولا إلى الخير طريقاً .

لقد تطاول هؤلاء على أهل العلم والحمدى فختم الله على قلوبهم لعلمه  
سبحانه أن خلاهم يصرفهم عن العلم وعن الإفاده واليقين .

ويتجه الخطاب في ختام السورة إلى رسول الله - صل الله عليه وسلم -  
بالدعاة إلى الصبر انتظاراً لتحقيق وعد الله - وهو حق لا يختلف - بالنصر  
والتأييد ، وألا يحزنُه تكذيب هؤلاء المكذبين ، وألا يجعله ما يلقونه به على  
الخفة والقلق أسى وجزعاً ، وأن يظل على ثباته ونفته ، وأن يركن إلى رعاية  
الله له ، ويطمئن لثبات أهل الإيمان من حوله ، ومها يطل الطريق فإن الغاية  
هي نصر الله بالصبر والثقة واليقين ، والهزيمة للمكذبين الشاكين الذين  
حجبهم الله عن أبواب اليقين .





سورة لقمان  
مكية  
وآياتها أربع وثلاثون



## مقدمة السورة :

هذه السورة مكية أو هي كذلك في أكثر آياتها ، فقد رُوي أن بعض آياتها (آياتان أو ثلاث أو واحدة) نزل بالمدينة .

بدأت السورة بالحديث عن القرآن الكريم وأثره في نفوس المؤمنين به ، ثم عرضت حال المبطلين وأهل الغلال ، و موقفهم من الدعوة إلى الحق والى الرشد ، وحددت جزاء أهل الإيهان وعاقبة المكذبين .

وصرحت بعد ذلك ببعض آثار قدرة الله في خلقه ، ونددت بمن يتخذ له إلهآ سواه ، مبينة عجز عبوداتهم وقصور أفهمهم .

وتاتي بعد ذلك الآيات التي تعرض ل موقف لقمان وحكمته في تلك الوصايا الغالية التي قدمها لولده زاداً له في دنياه ؛ لم يسلم قلبه وعقله ، ول يصلح ما بينه وبين ربه ، وبينه وبين الناس ، ول يكتب له في الآخرة مكاناً أعلىأ ، والآيات ذخيرة للمؤمنين ، ووصايا لأهل الحق واليقين .

وتحدث الآيات بعد ذلك عن بعض نعم المولى سبحانه وتعالى التي ينعم بها الناس ومن بينهم هؤلاء الذين يجحدون فضل الله ، وإذا دعوا إلى عبادته واتبعه أعرضوا وقالوا : بل تتبع ما وجدنا عليه الآباء من العقائد والأعمال ، وإذا متّوا عن الخالق المذير لم يسلكوا إلا الاعتراف بأنه الله ، وأولئك سوف يلقون جزاء الكفر عذاباً مهيناً .

وتختَّفَ الآيات عن الرسول - صل الله عليه وسلم - حزنه وأساه لکفر الكافرين ، وتكلّب المكذبين ، وثبتت يقينه ، وأنه على الحق فليحمد الله على ذلك ، والله غني عن إيهان هؤلاء فله ما في السموات وما في الأرض .

وتردُّ السورةُ بعد ذلك على تساوِلاتِ المشككين والمعاندين ، وتفحص  
أهل الباطل من اليهود والمنافقين ، وتبيّن سلوكهم عند الشدة وعند الرخاء  
وتذكرهم بنعم الله التي لا تخفي ، والتي تغوصُهم في كل وقت .

وتحذرُ من يوم لا ينفع فيه المرءُ غيرُ عمله ، وخشىته لله وتقواه في الدنيا ،  
وكيف أن أحب الناس لا يستطيع حماية من يحبه من غضب الله .

ويعرض ختام السورة مفاتيح الغيب التي لا يعلم أمرها إلا الله  
سبحانه وتعالى .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا ① ذَلِكَ ② مَا يَذَّكَّرُ الْكَيْمٌ ③ هُدًى  
وَرَحْمَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ ④ الَّذِينَ يُقْرِبُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ  
أَزْكَوَةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ ⑤ أَوْلَئِكَ عَلَى هُدًى  
مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑥ وَمِنَ النَّاسِ  
مَنْ يَسْتَرِي لَهُ الْحَدِيثُ لِيُضْلَلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْفِرُ  
عَلَيْهِ وَيَخْذِلُهَا هُنَّ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِمَّ ⑦  
وَمَاذَا تُنَلِّ عَلَيْهِ ⑧ إِذْنَنَا وَلَنْ مُتَكَبِّرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ  
فِي أَذْنِيهِ وَقَرَا فِي شِرْهٍ بِعِذَابِ أَلِيمٍ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ ⑩ أَمْنَوْا

وَعَلُوا الْصَّلَحَتِ لَمْ جَنَّتُ النَّعِيمُ ⑧ خَلِدِينَ فِيهَا  
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑨ خَلَقَ الْجَنَّاتِ  
 بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَنْ في الْأَرْضِ رَوَمِيَ أَنْ تَمْبَدِيَ كُنْكَرَ  
 وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآئِرَةٍ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا هُوَ فَانِيَتْنَا  
 فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ ⑩ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَارُونِي مَاذَا  
 خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ⑪

### معاني الكلمات والجمل :

- |              |   |  |
|--------------|---|--|
| هدى ورحمة    | يقيمون الصلاة ويزتون الزكاة               | يؤدون الصلاة قوية ويدفعون ما يحب عليهم من الزكاة . |
| يوقنون       | يؤذنون وتصدقون تصديقاً مؤكداً .           | هو الحديث  |
| بغير علم     | كل حديث باطل يشغل عن ذكر الله وعن الخبر . | هزروا  |
| ولى مستكبراً | من غير دارية ولا تفكير .                  | سخريه واستهزاء .                                   |

: صحيحاً مائعاً من السياع.	وقرأ
: ما ينذر به أو يقوم عليه.	محمد
: جبالاً نوابات.	رواسي
: تضطرب.	تميد
: نشر فيها وفرق.	بث فيها
: صنف شريف كثير المتفعة.	زوج كريم
: الآلة التي يعبدونها غير الله سبحانه وتعالى.	الذين من دونه
: الذين يشكرون بالله ويعبدون غيره.	الظالمون

## الشرح

### المحسنون :

تبدأ السورة بمثل ما بذلت به سورة الروم وهي الآية الأولى « ألم » هذه الحروف المجازية المقطعة التي تتركب منها آيات القرآن الكريم ، والتي يجري التخاطب بها بين من تنزل عليهم القرآن ، ولو أنهم تدبوا والعرفوا أن هذا القرآن من عند الله ، لأنه فوق قدرتهم ، وأن الإيمان بأقل سورة من سورة ليس في طاقتهم ، مع بلاغتهم التي اشتهروا بها ، وقدرتهم على صنع الكلمة وإتقانها ، وقد ووجهوا بالتحدي ، وكانت نتيجة العجز والفشل .

ثم يأتي بعد ذلك ما يشير إلى أن آيات القرآن التي تنزل من عند الله ، متضمنة كل حكمة ، والذي أحكمت آياته بالحلال والحرام ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيه ما يأخذ بالقلوب والعقول إلى ما يصلح الدنيا والآخرة . وهو هداية ورحمة لأهل الإحسان ، الذين استجابوا لله ولرسوله ، فحافظوا على أداء الصلاة في وقتها باتفاق وسلامة كما أمر الله ، وأثمرت ثمارتها فيهم ، فنوهت بهم عن كل منكر وفاحشة ، وأعانتهم على ذكر الله كما ينبغي الذكر ، وأتوا الزكاة التي شرعها الله ، وفرضها عليهم في أمواهم ، يؤدونها لاصحاحها راضية بما توسموا به في يد الله لتزيد في حسائهم ، وتزيدهم قرباً من ربهم ، وبصدقون بالآخرة تصديقاً متيقناً لا يدخله شك ، ولا تدنو منه ريبة ، هؤلاء الذين أحسنوا العمل وأحسنوا الاعتقاد ، هدأهم الله إلى طريق الحق والرشد ، وأولئك هم الذين عرفوا ما يرضي الله فالترمذ ، وكانتوا هم الفائزين .

### الضلال والهدى :

كان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دجل يدعى « النضر ابن الحارث » وكان يصد الناس عن الإسلام ويتوسل إلى ذلك بما يستهوي

عقول الناس وبليهيم ويقال : إنه اشتري مفتية فاتنة مطربة الغنا ، وكان إذا سمع بأحد ي يريد الإسلام ذهب إليه فأخذته إلى بيته فيطعمه ويسمعه الغنا ويسقيه الخمر ، ويقول له : هنا خير مما تدعى إليه من الصلاة والصيام والقتال بين يدي محمد ، كما قيل : إنه كان يخرج إلى فارس فشتري الأخبار والأساطير من هناك ثم يعود فيرويها ويحدث بها قريشاً ويقول لهم : إن محمدًا يحدثكم بآيات عاد وثمرد ، وأنا أحدثكم بآيات الأكاسرة ، فيستملحون حديثه ويتكون سماع القرآن .

ولقد نزلت الآية السادسة من سورة لقمان في هذا الشخص وهي تنطبق على كل من يشغل الناس بالباطل ، وبكل ما يستهوي العقول ويجذب القلوب فيلهيمها عن الحق بقصد أو بغير قصد ، فيضل الناس عن طريق الله ، وقد يتخد بعض الناس من آيات الله ميلاً إلى السخرية والاستهزاء بأهل الطاعة والإيان وهو لا يعلم وأولئك لهم عند الله عذاب يناسب إهانةهم الناس واستهزاءهم ، عذاب فيه من المهانة والإذلال والشدة ما شود معه الوجه ، ويكون علواً لاحتقار الناظرين . وهو لا الذين يهزرون بأيات الله إذا تلبت عليهم ثم يذيرون لها ظهورهم ويعرضون عن تدبرها تكبراً واستعلاء ، ويصررون أسماعهم عنها - كانوا أصابها الصمم . هو لا يُؤمرُ الرسول - صل الله عليه وسلم - أن يخاطبهم ساخراً مستهزئاً ، وينعلمُهم أن عذاب الله الأليم يتظரهم جزاء كفرهم واستكبارهم .

والى جوار هؤلاء نجد المؤمنين الذين زينا حياتهم بصالح الأعمال ، أعد لهم الله جزاء طيباً ، جنات ينعمون فيها بكل ما يشتهون ، دائمين على هذا النعيم ، لا يقل ولا يتقطع ، وقد وعدهم الله بذلك ، ووعده الله حق لا يختلف ، فهو القادر على كل شيء ، وهو العزيز الغالب ، وهو الحكيم العادل الذي لا يسوى بين المؤمن وغيره في حسابه العادل .

## هذا خلق الله :

الله سبحانه وتعالى خالق السموات بكمال قدرته ، رفعها بغير دعائم  
تراءا العيون ، وخلق الأرض وأقام فيها الجبال الثوابت لكي لا تتحرك  
وتنضطرب ، وتشر في الأرض من صنوف الأحياء ما يجعل عن المحصر ،  
وانزل من السماء المطر فأنبت من أصناف الزروع والثمار كل حسن كثير  
النافع .

هذا خلق الله . . لا يجهل ذلك جاهل ، ولا يكابر فيه مكابر ، فهو يملك  
أهل الشرك والباطل الذين اخْتَدُوا من دون الله آلة يعبدونها ، هل يملك  
هؤلاء أن يقدموا خلقاً أي خلق منها يتضائل أو يقل خلقه ؟ . إنهم لا  
يملكون ذلك ، فهم قد ظلموا أنفسهم مرتبين ، مرة حين عرفوا عظمة الله  
فلم يؤمنوا به ، وأخرى حين عجزت كل معيبو ذاتهم عن خلق أدنى شيء  
ومع ذلك انصرفو لعبادتها ، فـأي ضلال أو رفع من ضلالهم ، وأي باطل  
أبلغ مما هم فيه من الغواية والباطل ١٩ .



وَلَقَدْ هَادَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ رَبَّهُ وَمَن يَشْكُرْ  
 فَعَلَّمَنَا بِشْكُرْ لِتَقْيِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ١٦  
 وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِيهِ وَهُوَ يَعْظِمُهُ يَسْبِّنِي لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ  
 إِنَّ الشِّرْكَ لَفُلْمٌ عَظِيمٌ ١٧ وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِرَوَالِدِهِ  
 حَلْتَهُ أَمْهُرْ وَهُنَا عَلَىٰ وَهِنْ وَفَصَلْمُهُ فِي عَامِينِ أَنِ اشْكُرْ لِي  
 وَلِرَوَالِدِكَ إِلَىٰ الْعِصْرِ ١٨ وَإِنْ جَاهَهَا اللَّهُ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ  
 بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِنُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا  
 مَعْرُوفًا وَأَتَيْعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مِرْجَعِكُمْ  
 فَإِنِّي شُكْرٌ بِمَا كُنْتُ تَعْمَلُونَ ١٩ يَسْبِّنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُونْ  
 بِإِنْتَهَا حَبَّةً مِنْ خَرَدِلٍ فَتَكُونُ فِي صَخْرَقَةٍ أَوْ فِي السَّعْوَاتِ

أَوْ فِي الْأَرْضِ بَاتٍ وَهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَمِيرٌ ⑯  
 يَنْهَا أَقِيمُ الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَأَصِيرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيمٍ الْأَمْرِ ⑰  
 وَلَا تُصِيرْ خَدَّلَةً لِلنَّاسِ وَلَا تَعِشْ فِي الْأَرْضِ مَرْحَةً  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ كُلَّ مُخْتَالٍ نَفُورٌ ⑱ وَأَقِصِدُ فِي مَشْكٍ  
 وَأَغْضُضُ مِنْ صَوْتَكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ أَصْوَاتُ  
**الْخَيْرِ** ⑲

### معاني الكلمات والجمل

- |                |                           |
|----------------|---------------------------|
| الحكمة         | : العقل والفهم.           |
| الشرك          | : عبادة غير الله مع الله. |
| ووصينا الإنسان | : أمرناه وأوجبنا عليه.    |
| وهنا حل وهن    | : ضعفاً على ضعف.          |
| فصالة          | : نظامه عن الرضاة.        |
| إلى المصير     | : إلى العودة والمأب.      |

جاهدك	: أفرغا جهدهما وحاولا بوسائل كثيرة.
ما ليس لك به علم	: ما تعرف بعقولك أنه لا شيء وأن كل ما في الوجود من خلقة تعالي.
معروفا	: ما يرتضيه الشرع وتفضي به المروءة.
أناب	: رجع بالطاعة والأخلاق.
إليّ مرجعكم	: إلى مصيركم وعودتكم.
متقال	: وزن أصغر شيء.
فتكون في صورة	: فتكون مخفية داخل صورة.
وأنه عن المنكر	: وأمر الناس بالابتعاد عن المعاصي والمنكرات.
من عزم الأمور	: الأمور الصعبة التي يجب الثبات عليها التي هي من مكارم الأخلاق.
لاتنصرم خدك	: لا تُعرض ولا تُغلب صفة وجهك تكبراً.
مرحاً	: فرحاً وبطراً واحتيالاً.
ختال	: منكراً.
فخر	: كثير المباهة بالمال والجاه ونحوهما.
اقصر	: اعتدل وتوسط.
اغضض	: انخفض.

١٢

للماء

سميت هذه السورة الكريمة باسمه وذكرت فيها وصاية الحكمة ، قيل إنه من مصر ، وكان يحيط الثواب للناس ، كما قيل إنه كان يعمل راعياً ، ووصف كذلك بأنه نجاراً ، وقيل كذلك إنه كان عبداً حبشاً ، وأيضاً كان موظفاً ، وأيضاً كانت صنعته ، وأيضاً كان الزمن الذي وجد فيه والذي قيل إنه كان في ملك داود - عليه السلام - كما قيل إنه بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام - أيها كان ذلك فقد امتن الله على لقمان بالحكمة ، والتي هي الفهم والعقل والإصابة في القول والعمل ، والأمانة في الخلق والسلوك ، والحكمة من أجل نعم الله سبحانه وتعالى وشكرها واجب ولازم ، لأن المنعم المتفضل سبحانه وتعالى يجزي على الشكر بزيادة النعمه وإدامتها ، فالذي يشكر الله سبحانه وتعالى لا يقدم إليه فضلاً يحتاجه ، ولا جزاء ينتظره ، فالله غنى عن العالمين وإنما يقدمه لنفسه دليل إيمان وجدارة باستحقاق النعمه .

والذى لا يشكر نعم الله سبحانه وتعالى ولا يعرف قدرها ، أو يكفر  
بإله مانحها ومعطيها ، وبال يوم الآخر ، يوم الحساب والجزاء ، فإن كفراً  
هذا يرجع عليه ، ولا يضر الله شيئاً ، فهو سبحانه مستغنٍ عن الشكر  
والحمد .

ولقد قيل إن رجلاً سأله قرمان ألسْت عبد دار فلان الذي كنت ترعى لهم  
بالآمس؟ قال: بلى، قال: فما يبلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأدانتي  
الأمانة، وصدق الحديث، وتركى ما لا يعنيه.

كما يرى أن سيده طلب منه أن يذبح شاة ويأتيه بأطيب ما فيها ، فأتاه باللسان والقلب ، فلأله أاما كان فيها شيء أطيب من هذين ؟ فسكت ، ثم

أمره بذبح شاة أخرى وقال : ألق أحيث ما فيها فألقى اللسان والقلب ، فقال له : أمرتك أن تأتي بأطيب ما في الشاة فأتيني باللسان والقلب ، وأمرتك أن تلقي أحيث ما في الشاة ، فألقيت اللسان والقلب فقال : إنه ليس شيء أطيب منها إذا طابا ولا أحيث منها إذا خبأ .

ولقد اشتهر لقمان بالحكمة بين الناس ، فكانوا يقصدونه لحل مشكلاتهم ، والفصل في خصوماتهم ، ومن الناس من قال إنه نبي ولكن الأكثرين على أنه حكيم وليس بنبي ، وبهذا وصفه الله سبحانه وتعالى .

ولقد كان من نعم الله على لقمان ومن ذخائر الحكمة التي آتاهها الله له أن كان شاكراً لله على ما أعطاه لا يفتر عن حمده ولا يضعف ثناوه عليه .

وفي ذكر هذا في آيات القرآن ما يرحب المؤمنين في شكر النعم وحمد المنعم .

وصايا القمان :

عظات غالبات :

وحذابة الله :

الواجب على العارفين أن يعلموا غيرهم بما عرفوه من الحق ، وأن يوجهوا من حور لهم إلى الصراط القويم ، وإن أول الناس بتوجيههم وإرشادهم هم أقرب الناس إليهم رحما ، والصفتهم بهم نسبا ، وأقربهم منهم مودة .

من ينسب إليهم الفضل إن أحسنوا ، ويلقي عليهم اللوم إن هم أساءوا ، ومن يكون هؤلاء غير الآباء ؟ من أجل ذلك كان رحمة الوالد بولده وعظة العالم لقلدة كبله ، وكانت تلك الوعصايا التي سجلها لنا كتاب الله في تلك الدروس الغالية التي اختص بها لقمان ولده ، والتي هي مثل يعذى .

وأعلى عزة وأعظم وصية هي توحيد الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص العبادة له وحده ، فهو الخالق ، وهو المنعم ، منه البدء وإليه المأب ، وإن إشراك أحد مع الله سبحانه وتعالى من خلق أو ما خلق أفتح أبواب الظلم ، ظلم النفس وظلم الحقيقة ، فالحق أنه لا إله إلا الله ، والانحراف عن هذا غفلة ما بعدها غفلة في الدنيا ، وعذاب يجره صاحبه على نفسه في الآخرة ما فوقه عذاب ،

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِعْنَ يَكْثَرٍ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَنَ إِنَّمَا عَظِيمًا » (١) .

### وبالوالدين إحساناً :

وتأتي بعد ذلك وصاة الله سبحانه وتعالى وأمره الجازم للإنسان الذي يستشعر في قراره قلبه معنى إنسانيته ، ويحسن بغيره نعم الله وإكرامه له وإعلانه شأنه ، أن يكون باراً بوالديه ، عارفاً لحقهما ، خاضعاً لإرادتها ، ويدركه بطبع أمه في حله وإرضاعه والشهر عليه ورعايتها عمراً طويلاً وليلي عديدة مع رعاية الآب وحنانه . كل ذلك يوجب عليه أن يشكر نعم الله ، أن هيا له من يرعاه ، وأن يشكراً لوالديه ما قدما فلا ينس ما كان من شأنهما معه أيام كان لا حول له ولا قوة .

يروى البزار في مسنده – بإسناده – عن بريد أن رجلاً كان في الطريق حاملاً أمه يطوف بها ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : هل أديت حقها؟ فقال « لا . ولا بزفرة واحدة » ولو لم يتوافراً عليه وبختلا في ذلك كل ما صادفها من مشقة ومتاعب ما كان على ما هو عليه ، ومرجعه في النهاية إلى الله ، ومصيره إليه يجزيه بالإحسان إحساناً ، ويلتقي جزاء ما قدمت يداه .

على أن ذلك لها ماداما لا يأمران بمنكر ، أو يدلان على معصية ، فإن طالا شيئاً من ذلك ، وأصررا وألحوا في الطلب ، واستخدما في ذلك وسائل الضغط والتضييق ، فلا طاعة لها في هذا ، على أن تبقى الصحبة بالمعروف خارج هذه الدائرة ، وألا يجد عن طريق الله وهدى المخلصين الداعين إليه على بصيرة .

والله سبحانه يعنى الأقوال والأفعال والموعد بين يديه في الآخرة يوم يرجع الكل للحساب فيخبر الله كلّاً بما عمل ، وتنشر الصحائف ، ويُجزى أصحابُ اليمين بمقعد صدق عند مليك مقتدر ، ويلقى أصحابُ الشيال في نار ذات لب لا فكاك منها ولا مهرّب .

ويروى أن قوله تعالى : « وَإِنْ جَاهَهَاكُمْ ... » الآية نزلت هي وآية العنكبوت <sup>(١)</sup> المشابهة ، وآية الأحقاف كذلك في سعد بن أبي وقاص وآمه ، فقد روى مسلم قال محدثاً عن مصعب بن سعد - بن أبي وقاص - عن أبيه ، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال : حلفت ألم سعد إلا تكلمه أبداً حتى يكفر بيته ، ولا تأكل قالت : زعمت أن الله وحشاك برالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا قال : مكتت ثلاثة حتى غشّي عليها من الجهد فقام ابنها يقال له عمارنة ففاتها فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآيات :

**« وَوَصَّيْتَا إِلَيْنَنَّ بِوَلَدِيهِ حُنَّا<sup>٢</sup> » (١) « وَإِنْ جَاهَهَاكُمْ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكُمْ<sup>٣</sup> » (٢)**

وفيها « وَصَارِجُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » (٣) .

وروى الترمذى عن شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال : أنزلت في أربع آيات فذكر قصة ، فقالت

(١) العنكبوت : ٨

(٢) لقمان : ١٥١

(٣) لقمان : ١٥

أَمْ سَدَ الْيَسْ قَدْ أَمْرَ اللَّهَ بِالبَرِّ ، وَاللَّهُ لَا أَطْعُمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرُبُ شَرَابًا حَتَّى  
أَمْوَاتٍ أَوْ تَكْفُرَ — قَالَ فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَمُوهَا شَجَرًا فَأَفَاهَا (١).

فَتَرَلتْ هَذِهِ الْآيَةُ « وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَا إِنَّ رَبَّنَا يَوْمَ الْحِجَّةِ إِحْتَنَّا .. » الْآيَةُ .

### إِحْاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ :

يَتَابِعُ لِقَهَانَ وَصَاحِبَيِ الْحِكْمَةِ وَعَظَاتِهِ الْغَالِيَةِ لِرَوْلَدَهُ ، فَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ خَالِقَ  
الْخَلْقِ لَا يَغْيِبُ عَنْ عِلْمِهِ كَبِيرُ الْأَشْيَايِّ وَلَا صَغِيرُهَا حَتَّى لَوْ أَنَّ أَصْغَرَ الْأَشْيَايِّ  
الَّتِي قَدْ لَا تُدْرِكُهَا الْعَبُونَ خَبَثَتْ فِي جُوفِ صَخْرَةٍ أَوْ اخْفَتَتْ فِي السَّيَّارَاتِ  
أَوْ فِي الْأَرْضِ لَا خَفَتَتْ عَلَى عِلْمِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا تَنْزَهُ بَهَا وَأَحْضَرَهَا ،  
وَكَذَلِكَ أَصْغَرُ الْأَفْعَالِ وَأَدْقَهَا مَا قَدْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ فَاعْلَمُهُ ، يَأْتِي بِهِ اللَّهُ  
وَيَحْضُرُهُ وَيَعْلَمُهُ فَاعْلَمُهُ عَلَيْهِ ، فَاللَّهُ سَبْحَانُهُ وَتَعَالَى لَطِيفٌ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ  
خَافِيَّةٌ ، بَلْ يَصْلُ عِلْمَهُ إِلَى كُلِّ خَفْيٍ ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَغْيِبُ عَنْهُ  
شَيْءٌ .

### فَضَائِلُ فِي الْقُمَّةِ :

وَيَوْصِي لِقَهَانَ أَبْنَهُ بِالتَّزَامِ أَرْفَعِ الْفَضَائِلِ ، وَشَوَامِخِ الْأَعْمَالِ ، وَأَعْظَمِهَا  
عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابًا وَأَكْثَرُهَا أَجْرًا ، وَالَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى مُثَابَةٍ وَمُجَاهَدَةٍ .. وَأَوْلَى هَذِهِ  
الْأَمْرَوْنَ أَدَاءُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ خَالِصَةً مُسْتَقِيمَةٌ يَعْلَمُ فِيهَا عِبُودِيَّتَهُ الْكَامِلَةُ لِلَّهِ ،  
وَخَالِصُ لِيَاهُ بِهِ ، وَصَادِقٌ طَاعَتْهُ لَهُ ، وَلَا يَتْرُكُ خَيْرًا إِلَّا وَيَأْمُرُ النَّاسَ  
بِفَعْلِهِ وَيَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ وَيَقْنَعُهُمْ بِهِ ، وَلَا يَتْرُكُ مُعْصِيَةً وَلَا فَاحِشَةً إِلَّا وَيَبْينُ  
سُوءَهَا وَيَكْتُفُ عَنْ مُضَارِّهَا ، وَيَنْهَا عَنِ الاقْتَرَابِ مِنْهَا ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى  
مَا يَصَادِفُهُ مِنْ الْمَأْعُوبِ وَالْمَصَاعِبِ وَالْبَلَاءِ وَالشَّدَادِ حَسِيرًا مُتَمَسِّكًا بِحَبْلِ  
رَبِّهِ ، لَا يَخْرُجُ ، وَلَا يَضُعُ ، وَلَا يَشْتَرِي ، وَهَذِهِ الْأَمْرُورُ التِّي يَأْمُرُ لِقَهَانَ

(١) فَتَبَرَّأَ إِذَا .

ولده بها هي أمهات العبادات وأعمدة الخير والطاعات ، والذى يلتزمها يكون من أصحاب الحزم ومحارم الأخلاق ، الذين يقر لهم الله ويزورهم في ظله يوم لا ملجأ من الله إلا إليه ، ويوم تعرف كل نفس ما عملت .

### تواضع في غير مذلة :

يتبع لقمان وصاياه لأنه بآلا يكون متعالاً منكراً ، يُعرض بوجهه عن الناس ، أو ينظر إليهم باحتقار ، ويأمره كذلك إلا يتجرأ ولا يكون مخالفاً مزهوأ بنفسه ، كثير الفخر على الناس بالمال أو بالجاه أو بالقوة ، إلا أن يكون حديثه عن هذه الأشياء في تواضع المؤمنين خدثاً بنعمته الله عليه وفضله ، فإن الله تعالى يقول « وَامَّا بِنْعَمَةِ رَبِّكَ خَدَثٌ ⑪ »<sup>(١)</sup> .

ويأمره أن يكون معتدلاً في مثيته وأن يلزم الوفار والسكنة ، ولا يعلو صوته إذا تكلم ، إذ الجهر أكثر من الحاجة بوزني السامع ، وينظره من الاستماع ، لأن أعلى الأصوات أقبحها وأكثرها تغيراً لمن يسمعها ، وهو صوت الحمير ، أو كله زفير وآخره نبيق .

\* \* \*



أَلَرْ تَرَوَا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَتَبَعَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً  
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا  
 كِتَابٌ مُنِيرٌ ﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُونَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا  
 بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ إِذَا آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْءُكُنَّ  
 يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ \* وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ  
 إِلَى اللَّهِ وَهُوَ خَيْرٌ فَقَدِ اسْتَمْكَ بِالْعِرْوَقِ الْوُتْقِ وَإِلَى  
 اللَّهِ عَنِيقَةُ الْأَمْوَارِ ﴿٣﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ وَ  
 إِلَيْنَا مُرْجِعُهُمْ فَنَتَبَثِّمُ عَمَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِهَا دَارٌ  
 الْصُّدُورِ ﴿٤﴾ نَعْتِهِمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ

غَلِيظٌ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَحَدٌ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝  
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ  
أَحَدٌ ۝ وَلَوْلَا كُنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَعْرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ  
يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْخَرٍ مَا نَقْدَثُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنْفِسٍ  
وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الْقُرْآنُ اللَّهُ يُولِجُ الْأَيْلَ  
فِي الْأَهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارِ فِي الْأَيْلَ وَسْخَرُ الشَّعْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ  
يَجْرِي إِلَى أَجْلٍ مُسْمَى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝  
ذَلِكَ بِإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَلْبَطِلُ  
وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ الْقُرْآنُ الْفُلَكَ تَجْرِي  
فِي الْبَحْرِ يَنْعَثِرُ اللَّهُ لِرِبِّكُمْ مِنْ هَا يَتَهَدَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَا يَنْتَهِي تِلْكُلٌ حَسَبُرٌ شَكُورٌ ① وَإِذَا غَشِّيْمَ مَوْجَ كَالظَّلَلِ  
 دَعَوْا اللَّهَ مُعْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنَهُمْ  
 مُقْتَصِدٌ وَمَا يَنْجِدُ وَعَاهَتْنَا إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كُفُورٌ ②

### معاني الكلمات والجمل :

سخر لكم ما في السورات :	جعل للإنسان قدرة على الاستفادة والانتفاع
وما في الأرض :	بما فيها وذللها له .
أسيغ :	أتم وأوسع وأكمل .
ظاهرة وباطنة :	معلومة بالحسن والمعاينة أو معلومة بالدليل والبرهان .
يمجادل في الله :	يخاصم ويتحدى في ترجيد الله وكمال صفاته .
بغير علم :	غير حجة ولا دليل .
كتاب مثير :	كتاب منزّل من الله يوضح طريق الحق .
السعير :	الثديد المتقد الم��ب .
يسلم وجهه :	يخلص عبادته لله وحده .
العروة الوثقى :	العهد الذي لا تنقض له .
عاقبة الأمور :	مchaner الأمور وتهاياتها .
هلا يحزنك كفره :	لا يفزعك ولا يزعجك من يكفر وينصرف عن المهدى .

: ما تخفيه القلوب من اهوايس والخواطر .	ذات الصدور
: عذاب شديد ثقيل .	عذاب غليظ
: ما فرغت وما فنيت .	ما نفدت
: إلا كخلق نفس واحدة .	إلا كنفس واحدة
: يدخل .	يولج
: كثير الصبر عظيم الشكر .	صبار شكور
: غمرهم وغطائهم .	غثيهم
: كالحباب المتراكم بعده لوق بعض أو كالجبال .	كالفلل
: موف بعهده شاكر الله .	متصلد
: غدار والآخر أقبح الغدر وأشدده .	ختار

## الشرح

### إلى الله عاقبة الأمور :

يَسْتَأْنِفُ اللَّهُ بِسَبْحَانِهِ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِأَنَّهُمْ وَهُمْ قَطْرَةٌ لَا تَكَادُ تُرَى فِي مُلْكِهِ الْوَاسِعِ ، قَدْ آتَاهُمْ مِنَ الْعُقْلِ ، وَأَفَاضُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُمْكِنُهُمْ مِنَ الْوَصْولِ إِلَى الْقَوَاعِدِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَنْتَقِعُونَ بِكُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ ، سَهَّلَهُ وَأَرْسَهُ ، وَأَنَّهُ آتَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا يُحْصَى وَلَا يَعْدُ مَا يَقْعُدُ تَحْتَ الْخَسْرَانِ وَيُرَى وَيُلْمَسُ ، أَوْ يَكُنْ وَيَخْفَى ، كُلُّ هَذَا الْعَطَاءِ الَّذِي يَدْلِلُ عَلَى وَاسِعِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَلَى وَحْدَائِهِ يَجِدُ فِي النَّاسِ مِنْ يَحْمِدُهُ ، دُونَ عِلْمٍ يَزِيدُهُ . وَلَا هَذِهِ يَسِّدُدُ خَطَايَا ، وَلَا كِتَابٌ يَقْدِمُ لَهُ الْبَرَهَانُ وَالدَّلِيلُ ، وَلَقَدْ نَزَّلَتْ آيَةً «الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ» فِي التَّضَرُّرِ بَيْنَ الْحَارِثَ وَأَبِيَّ بْنِ خَلْفٍ وَكَانَا يَكْثُرُانِ بِجَادَلَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي التَّوْحِيدِ وَصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعَانِدُونَ وَيَخْاصِمُونَ وَيَكْفِرُونَ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . إِذَا دَعُوا إِلَى اتِّبَاعِ مَا أُنزِلَ مِنَ الْهُدَى وَالرُّشْدِ تَرَاجَعُوا ، وَأَبْرَأُوا أَنْ يَسْتَجِيبُوا ، وَقَالُوا إِنَّا لَا نَتَرَكُ مَلَةَ آبَاتَا ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا مَا وَجَدْنَاهُمْ يَعْبُدُونَهُ ، وَلَا نَدِينُ بِالْوَلَاءِ وَالطَّاعَةِ وَالْخَضْرَعِ إِلَّا مَا أَرْشَدُونَا إِلَيْهِ ، أَفَلَا تَرَشِدُ هُؤُلَاءِ عَقُوبَتُهُمْ إِلَى أَنْ مَا يَتَبَعُونَهُ إِنَّهَا هُوَ مِنْ صُنْعِ الشَّيْطَانِ وَكِيدَهُ ، وَأَلَا يَدْرِكُونَ أَنَّ دُعَوةَ الشَّيْطَانِ إِنَّهَا تَوْصِلُهُمْ إِلَى عَذَابِ النَّارِ الْمُتَوَهِّجِ الْمُتَهَبِّ ، الَّذِي يَكْتُرُونَ بِهِ ، وَكُلُّمَا بَلَّيْتُ جَلُودَهُمْ بَدَلُوا عِيرَهَا لِيَسْتَقْرُرُ أَحْسَانُهُمْ بِالْعَذَابِ .

الْحَقُّ أَنَّ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَلَّهِ بِسَبْحَانِهِ وَتَعَالَى وَيَخْلُصُ قَلْبَهُ لَهُ ، وَيُسْلِمُ قِيَادَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَيُسْلِمُ اعْقَادَهُ ، وَيَصْلُحُ عَمَلَهُ ، سَاعِيًّا لِرَغْبَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفَعْلٍ وَشَعْرٍ ، فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِحِلْمِ اللَّهِ الْمُتَنَّ وَالْتَّرْمِ الْطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَمَرْدَهُ إِلَى اللَّهِ بِسَبْحَانِهِ وَتَعَالَى ، وَعَاقِبَةُ أَمْرِهِ عَنْهُ - يَحْزِيْهُ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ

يُعَلِّمُ فِي الدُّنْيَا ، أَمَّا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فَيُطْلَبُ اللَّهُ بِسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ أَلَا يَخْزُنُهُ كُفُّورُهُ ، وَأَلَا يَثْقُلُ عَلَى صَدْرِهِ مَوْقُوفُهُمْ مِنْهُ ، لَأَنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى اللَّهِ يَعْصِي أَعْيُّا هُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَخْبُرُهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَّةٌ مِنْ أَعْيُّا هُمْ وَلَا مَا تَخْفِي قُلُوبُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ بِسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَمْتَعُهُمْ قَلِيلًا فِي حَيَاةِهِمْ الدُّنْيَا بِشَعْمِ زَائِلَةٍ وَمَتْعَمِ مَرْقُوتَةٍ ثُمَّ يَلْجُنُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَدْفَعُهُمْ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ تَقْبِيلٌ فِي نَارِ جَهَنَّمِ وَبِنَسْ القرَارِ .

وَسِلِّمُ اللَّهُ بِسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ وَبِثَبَتِهِ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَيُظَهِّرُ لَهُ غَفَلَةُ الْمَكْذِبِينَ الْمُنْكَرِينَ بِأَنَّهُ إِنْ سَالْمُهُمْ مِنْ خَالقِ السَّمَاوَاتِ وَخَالقِ الْأَرْضِ مَا تَرَدُّدُوا فِي أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ الْخَالقَ هُوَ اللَّهُ . لَا يَتَوَقَّفُونَ وَلَا يَتَرَدَّدُونَ وَلَا يَدْعُونَ أَنْ هَذَا كَخَالقًا سَوَاءٌ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَحْمِدَ اللَّهَ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ ، وَأَنْ أَكْثَرُهُمْ فِي غُرَايِّ الْجَهَنَّمِ ، وَفِي مَهَاوِيِّ الْفَضَّلَالِ ، وَأَنْ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ مُلْكًا وَخَلْقًا ، فَلَا يَسْتَحِقُ الْعِبَادَةُ غَيْرُهُ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ غَيْرِهِ الْمُسْتَحِقُ لِكُلِّ حَدٍ .

### كَلِمَاتُ اللَّهِ فَوْقُ الْحَصْرِ :

قَبْلَ : إِنَّهُ لَا تَنْزَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »<sup>(١)</sup> فِي الْيَهُودَ قَالُوا : كَيْفَ وَقَدْ أُوتِيْنَا التُّورَةَ فِيهَا كَلَامُ اللَّهِ وَأَحْكَامُهُ فَتَرَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ... » الْآيَةُ . وَهِيَ تَدْلِيلٌ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ - بِسُبْحَانِهِ وَتَعَالَى - وَحْكَمَهُ وَهُدَيهُ لَا يَقْعُدُ تَحْتَ الْحَصْرِ ، وَلَوْ أَنْ كُلُّ شَجَرَ الْأَرْضِ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى أَقْلَامٍ لِلْكِتَابَةِ وَجَتَّا بِسِحْرٍ ، يَحْرُّ مِنْ بَعْدِ بَحْرٍ وَجَعَلَنَا مِيَاهَ هَذِهِ الْبَحْرَ مَدَادًا ، ثُمَّ غَمَّتَا الْأَقْلَامُ فِي الْبَحْرِ وَكَبَّتَا كَلِمَاتُ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ، لَنَكَرْتُ الْأَقْلَامَ ، وَانْتَهَى المَدَادُ وَفَرَغَ ، وَلَظَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ كَمَا هِيَ لَا يَعْصِيَهَا عَدٌ وَلَا تَحْدُدُهَا نَهَايَةٌ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ لَا يَعْجِزُهُ

شيء، ولا يخرج عن حكمته وعلمه كائن من خلوقاته ، والعدد الذي ذكر للأبخر ليس مقصوداً منه غير الكثرة في عيون السامعين ، أما لو زيدت الأبخر بلا نهاية فلن كلمات الله لا تنتهي .

### إحياء الموتى :

إرادة الله سبحانه وتعالى حين توجه إلى خلق شيء تستوي عندها القلة والكثرة فيستوي عند الخلق ، خلق الفرد وخلق الملايين وكذلك عندبعث إذا توجهت إليه المشيئة ، بعث النفس الواحدة وبعث الملايين سواء « إِنَّمَا أَمْرٌ رَّبِّ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »<sup>(١)</sup> «

ويروى أن قوله تعالى : « مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا يَعْشُكُمْ إِلَّا كَنفِيسَ وَاحِدَةٍ ... »

الأية . قد نزلت حينها جاء أبي بن خلف وبعض أصحابه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا : كيف يبعث الناس جمعاً في ساعة واحدة وقد خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وهكذا فكانت الآية ردآ حاسماً على جهلهم وكفرهم ، والله سبحانه وتعالى سميع لكل ما يسمع ، بصير لكل ما يُضر ، وسمعيه وبصره صفتان له سبحانه وتعالى لا يماثله فيها أحد « لَيْسَ

كِتَلَهُ، شَيْئاً »<sup>(٢)</sup> .

### من آيات الله :

قدرة الله سبحانه وتعالى واسعة وعظيمة ، ومن دلالتها ما نقع عليه العيون كل صباح وكل مساء ، حين يدخل الله الليل في النهار فيذهب

(١) سـ ٨٣.

(٢) الشرح : ١٩.

ضياؤه ، وحين يدخل النهار على الليل فيبدد ظلمته ، وتغري الشمس بقدرته من وقت طلوعها حتى الغروب ، لا تبايناً ولا تختلف ، وإنما تسير بمقدار ، ولا تخرج عن طريقها التي خلقها الله له ، ومسيرها فيه ، والقمر كذلك لا يختلف عن ميقانه ، ولا ينحرف عن الطريق المرسوم له ، وكل من الشمس والقمر يسعى إلىغاية المحددة له التي قدرها الله ويعلم أمرها ، والله سبحانه وتعالى الذي يقدر على هذه الأمور العظيمة لا يخفى عليه ما يفعل الإنسان فهو علیم بكل صغير وكبير .

الله سبحانه وتعالى هو الحق وله الكمال وحده ، وقدرته على الخلق والتسيير وإحاطته بكل شيء علىـاـ لا يعدها حد ، لأنـهـ هو وحده ولا إله غيره ولا شريك معـهـ هو الحق ، وكل ما يعبدـهـ الكافرون من دونـهـ إنـمـاـ هو باطل وضلـالـ ووهم ، فالله وحده هو العلي ، والله وحده هو العلي الكبير ، وليس غيرـ اللهـ عـلـيـ ولا كـبـيرـ .

ويسوق الله سبحانه وتعالى آية من آياته ونعمـةـ من نعمـهـ يستهـضـ بها عقولـاـ غـائـيـةـ ، فيذكـرـ بالـسـفـنـ التي تـغـرـيـ فيـ الـبـحـرـ ، وإنـهاـ لا تـحـرـكـ إلاـ بـرـحـةـ مـنـهـ وـفـضـلـهـ ، وأنـهاـ تـتـخـدـ منـ الـبـحـرـ وـسـيـلـةـ لـقـضـاءـ حـاجـاتـ بـنـيـ الـبـشـرـ يـتـقـلـونـ عـلـيـهاـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ بـلـدـ . وـتـحـمـلـ مـتـاعـهـمـ وـتـجـارـاتـهـمـ تـقـرـبـ الـبـعـيدـ وـتـدـنـيـ مـنـ الـغـايـاتـ .

إنـ الفـلـكـ تـغـرـيـ فيـ الـبـحـرـ وـفـقـ نـوـامـيسـ أـوـدـعـهـ اللهـ الـبـحـرـ وـالـفـلـكـ وـالـرـيـحـ ، وـلـوـ اـخـتـلـتـ نـوـامـيسـ مـاـ تـحـرـكـتـ سـفـيـةـ . فـهـيـ تـغـرـيـ بـنـعـمـةـ اللهـ وـفـضـلـهـ ، لـيـرـىـ مـنـ أـرـادـ أـنـ يـرـىـ أـلـاـ اللهـ وـنـعـمـةـ ، وـالـذـينـ يـعـرـفـونـ فـضـلـ اللهـ عـلـيـهـمـ ، وـيـدـرـكـونـ عـظـيمـ نـعـمـهـ وـمـاـ يـشـاهـدـونـ مـنـ آثارـ قـدـرـةـ اللهـ ، هـمـ الـذـينـ يـصـبـرـونـ عـلـىـ طـاعـةـ اللهـ ، وـيـجـتـبـيـونـ مـعـاصـيـهـ ، وـيـكـثـرـونـ حـدـهـ وـشـكـرـهـ . وـلـقـدـ تـشـوـرـ حـولـ السـفـنـ فيـ الـبـحـارـ الـأـعـاصـيرـ وـالـزـوـافـعـ وـيـشـنـدـ الـمـرجـ وـيـتـعـالـىـ مـنـ حـوـلـهـاـ كـالـجـبـالـ أوـ كـالـسـحـابـ الـمـرـاكـمـ فـيـلـجـأـ كـلـ مـنـ فيـ السـفـيـةـ

إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَدْعُونَهُ فِي إِخْلَاصٍ وَصَدْقٍ ، وَيَلْجَاؤنَ إِلَيْهِ أَنْ  
يُكَشَّفَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُرْبَ وَالْفَمْ ، وَحِينَ تَبْلُغُ بِهِمْ سَفَنَهُمْ شَاطِئَهُ  
الْأَمَانَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُرْقَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ ، وَيَقْنَى عَلَى إِخْلَاصِهِ  
وَتَقْوَاهُ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ سَالِمًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْسَى الْعَهْدَ ، وَيَخْلُفُ الْوَعْدَ ،  
وَيُكَفِّرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَيَعُودُ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِهِ . وَمَا يَقْدِمُ عَلَى ذَلِكَ وَمَا  
يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ إِلَّا كُلُّ غَدَارٍ أَتَمْ عَدِيمُ الصَّدْقِ وَعَدِيمُ الْوَفَاءِ .



يَا أَيُّهَا

النَّاسُ أَتَقْوَا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجِزِي وَالدُّعَنْ وَلَدِيهِ  
 وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالدُّهُ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا  
 تَغْرِبُ الْحَيَاةُ الْدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٤﴾ إِنَّ اللَّهَ  
 عِنْدَهُ عِلْمُ الْأَسْعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ  
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِيَمِينِ  
 أَرْضِنَّعَوْتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴿٣٥﴾

## معاني الكلمات والجمل :

- |              |  |
|--------------|--|
| اتقواربكم    | : خافوا عقابه والتزموا طاعته.                |
| واخشوا يوماً | : اخذروا عذابه.                              |
| لا يجizi     | : لا يعني عنه ولا ينفعه ولا يحمل عنه عقاباً. |
| لا يغرنكم    | : لا يدعونكم للباطل.                         |
| الغرور       | : الشيطان.                                   |
| الغيث        | : المطر.                                     |

## الشـرح

وَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ :

بعد أن جَلَّتْ لَنَا السُّورَةُ الْمَبَارَكَةُ الْكَثِيرُ مِنْ دُخَائِلِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمَا يَوْاجِهُ بَهُ مِنْ يَعْيَشُونَ عَلَى الْأَرْضِ رِسَالَاتُ الرَّسُولِ وَدُعَوَاتُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا تَكْشِفُ عَنْهُ مِنْ بَعْضِ جَوَابِ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ ، وَمَا يَتَظَرُّ فِيهَا أَهْلُ الطَّاعَةِ وَأَهْلُ التَّكْذِيبِ وَمَا أَرْشَدَتْ إِلَيْهِ مِنْ جَوَابِ الْفَلَاحِ ، وَعِلَامَاتُ الْطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ . بَعْدَ هَذَا تَأْتِيْ تَهَايَةُ السُّورَةِ فَتَحْدُرُ أَهْلُ مَكَةَ وَمَنْ عَلَى شَأْنِكُلْتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَنْ يَرَاقِبُوا اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَحْلِمُوا سَخْطَهُ ، وَيَخْشُوا عَذَابَهُ فِي يَوْمِ غَيْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى – عِلْمُهُ عَنْهُمْ ، لَا يَمْنَعُ فِيهِ وَالَّدُّ عَنْ وَلَدِهِ مَعَ فَرَطِ رَحْمَتِهِ – عِقَابًا وَلَا عَذَابًا ، وَلَا يَحْمِلُ عَنْهُ جِزَاءً مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُ شَفَاعةً ، وَكَذَلِكَ لَا يَمْلِكُ وَلَدُهُ أَنْ يَرْدُعَ عَنْ وَالَّدِهِ – مَهِيَا يَشْتَدِ حَبَّهُ لَهُ – ثَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ لَا يَتَخَلَّفُ ، أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَادِمٌ لَا شُكُّ فِيهِ ، يَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ الشَّرِكَ ، وَيَتَمَيَّزُ فِيهِ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ عَنْ أَصْحَابِ الْمُعْصِيَةِ وَمُرْتَكِبِيِ الْبَيْنَاتِ .

وَفِي هَذَا مِنَ التَّحْذِيرِ وَالْإِنْذَارِ مَا يَقْفَضُ بِأَصْحَابِ الْعُقُولِ عَلَى حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَأَنَّهَا مَعْبُرٌ وَطَرِيقٌ ، وَدَارٌ سَفَرٌ لَا دَارٌ قَرَارٌ ، وَأَنَّ الْمَتَعَ فِيهَا مَهِيَا تَمْتَدُ فَهِيَ إِلَى زَوَالٍ وَانْقِطَاعٍ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَشْغُلَ عَنِ الْآخِرَةِ دَارُ الْقَرَارِ ، وَمَا يَنْبَغِي كَذَلِكَ أَنْ يَرْكَنَ فِيهَا إِلَى إِغْرَاءِ الشَّيْطَانِ وَإِهْلَاكِهِ عَنِ الْطَّرِيقِ الْحَقِّ ، طَرِيقِ الْهَدَى ، وَالنُّورِ ، طَرِيقِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى .

مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ :

لَطَّالَ مَسْلِلُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ مَوْعِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْتَ بِكُونِ؟ وَكَانَ الْإِلَ�حَاجُ عَلَى السُّؤَالِ يَحْمَلُ فِي حَقِيقَتِهِ الْمُسْتَرَّةِ

معنى التكذيب بهذا اليوم والإنكار لحصوله وأنه لو كان حقيقة لعرف ونحدد ، ولقد سجل القرآن الكريم في أكثر من آية هذا السؤال فقال تعالى : « يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ الْأَسْعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ »<sup>(١)</sup>  
 « يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ »<sup>(٢)</sup> « يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْأَسْعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا »<sup>(٣)</sup> « وَيَقُولُونَ مَنِي هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »<sup>(٤)</sup>  
 ولقد روي أن سبب نزول الآية الأخيرة من هذه السورة المباركة أن رجلاً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال « متى الساعة ؟ وقد أجدت بلادنا فمتى تغصب ؟ وتركت امرأني حبل فمعنی تلد ؟ وماذا أكب خداً ؟ وبأي أرض أموت ؟ فنزلت هذه الآية »<sup>(٥)</sup>.

والآية تبدأ بتقرير أن موعد القيمة غيب لا يعلمه إلا الله ، وأن هذا الغيب ليس مدخلاً للإنكاره وجحده حصوله ، فما أكثر ما يحيط بالناس مما قد يأتي بعد وقت قليل ومع ذلك يجهلونه ، وليس جهلهم هذا بعلامة على عدم حصوله ، أو دليلاً على أنه غير كائن . وغيب الله كثير ، وقد ذكرت الآية شيئاً من غيب الله الذي اختص به ، ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل الغيث ، لا يشاركه في ذلك أحد ، وهو الذي يعلم أين سينزل الغيث ، ومقداره وأثاره ، لا يعلم ذلك غيره ، ولا يحيط به سواه ، وما يمكن - منها تقدم علم الإنسان - أن يملك شيئاً من هذا .

(١) الأحزاب : ٦٣.

(٢) النساء : ١٧.

(٣) الأعراف : ١٨٧ و البازعة : ١٩.

(٤) البقر : ٢٥.

(٥) راجع نسخ الفطري وأسباب النزول المرافق .

وقد يصطنع الإنسان مطراً صناعياً ولكنه لا يملك أن يجعله في كل مكان ، ولا أن يكون بالقدر الذي يكون في الغيت الذي ينزله الله ، وحتى لو سُلِّمَ أن يملك الناس في يوم من الأيام إزالة الغيت ، فها يمكن أن يكون إلا من أصول هي من خلق الله وتكوينه ، ولم سُلِّمَ أن ينزل الغيت فيما يمكن أن يعلم من يتضمن هذا الغيت ومن يُضر ، وما ينتهي به من الشر وما يفرق ، وما يذهب بددًا وما يمكث في الناس ويتفن في الأرض .

والله وحده يعلم ما في الأرحام وليس المقصود بالغيب في ذلك أن يكون المولود ذكراً أو أنثى وإنما الغيب في هذا الأمر أبعد من ذلك بكثير ، فالله سبحانه وتعالى يعلم منذ علوق النطفة بالرحم ما يكون من شأنها وشأن صاحبها صفة مفتوحة لا يغيب عن علمه — سبحانه — شيء يحيط بها أو يقترب منها أن تكتمل للنطفة حياة أم لا ؟ وفي أي لحظة ترى النور ؟ وكيف تكون حياة صاحبها سوية أو منحرفة ؟ شقيقة أو معيبة ؟ سليمة أو سقيمة ؟ وماذا يكون له وماذا يكون منه على مدار حياته ؟ حتى ينتهي أجله . فهل يحيط يعلم هذا أحد غيره سبحانه وتعالى ؟ اللهم لا .

وما نکبه كل نفس غداً غيب ستور لا يدركه الناس ولا يحيطون به على قربه من أصحابه ، ومع ذلك فهو في علم الله سبحانه وتعالى يعلم ما يفعل وهو — عز وجل — عحيط بها يقال ولا تغيب عن علمه صغيرة ولا كبيرة تحيط بالنفس أو تخفي في أغوارها . وكل ذلك لا تدرى نفس متى يكون أجملها ولا في أي مكان تموت ، وفي هذا كله من الدلالات على قصور علم الإنسان وعلى جهله حتى بأقرب الأشياء منه ، وأكثرها لصوصاً به ، ولم يكن جهله بها ولا تخافها عن علمه . يحاكم عليها عندما أو وجوداً .

فبحجود القيامة لعدم العلم ببرتها كذلك ليس دليلاً على عدم حصولها ، ولقد جعلها الله غياباً لا يعلمه سواه ؛ ليقى الناس على حشر دائم ، وتتوقع مستمر ، وعساولة دائمة أن يقدموا لها ، وأن يدخلوا رحباً ينفعهم فيها ، والله سبحانه وتعالى — علیم بكل شيء ولا يعلم الغيب سواه ، خير بكل

ما كان وما يكون ظاهراً وباطناً ، ولقد روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مفاتيح الغيب حس لا يعلمهن إلا الله ، لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا متى تقوم الساعة إلا الله ، ولا ما في الأرحام إلا الله ، ولا متى ينزل الغيث إلا الله ، وما تدرى نفس بأي أرض عوت إلا الله »<sup>(١)</sup> . والغيب لا يحصره هذه الأمور بل كل غيب لا يعلمه إلا الله وحده ، وما قد يخبر به الطيب أو عليه المراسيد من الأمور التي لم تكتشف بعد فنبناه على الظن لا اليقين في بعض الأحوال الجزرية وهي يبني على آثار أو علامات أو حساب وكل ذلك قد يصيّب وقد يخطئ .



---

(١) سخن عليه .



## سورة السجدة مكية

وهو قول الجمع ، الا الكلبي ومقاتل . فقد قالا :  
الا ثلات آيات ..

من قوله تعالى :  
« أَفَمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا .. » إِلَى آخرهن .  
وقال غيرها : الا خمس آيات من قوله تعالى :  
« تَحْقِيق جُوبِهِم .. » إِلَى قوله تعالى :  
« الَّذِي كَعْمَ بِهِ تَكَبَّرُوا »  
وآيات سورة السجدة ثلاثون آية .



## مقدمة السورة

أكدت السورة في بدايتها صدق رسول الله – صل الله عليه وسلم – في دعوته الرسالة ، وفي أن الكتاب الذي جاء به إلينا هو من عند الله سبحانه وتعالى ، ثم ساقت السورة بعد ذلك الشواهد الحسية التي ثبتت وحدانيته عز وجل ، وأنه وحده مبدع السموات والأرض وخلقها ، وأنه مدبر الأمر وحده ، وأن كل شأن يصعد إليه ، وأنه عالم الغيب والشهادة ، العزيز القاهر ، الواسع الرحمة ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، ثم بيت الآيات خلق الإنسان وكيف كانت البداية من الطين ، ثم مراحل التكوين في نسله تدليلاً على قدرته تبارك وتعالى ، وتفرده بالخلق . ثم عرضت لتكريي البعث ، الذين يتبعدون الإعادة بعد الموت ، وأكدت لهم أن البعث واقع لا محالة ، وأنهم يومها سيلاقون من العذاب والهوان ما يكفيه تكذيبهم واستبعادهم ، وصورت حاهم وهم في خزي الهوان وحسرة التكذيب .

وتحدىت الآيات عن أهل الإيمان ، وحددت صفاتهم وعلاقتهم ، وأزاحت الأستار عن بعض النعيم الذي ينعمون به يوم القيمة جراء وفاقاً ، وكيف يتميز جمعهم عن المخلبين الفاسقين .

وبينت الآيات فداحة الظلم الذي يقع فيه من يعرض عن ذكر الله فلا يتفقه الطوي ، وطمأنت الرسول – صل الله عليه وسلم – أنه ليس بداعياً فيها يصادفه ، وأن الله قد أرسل من قبله موسى بكتاب فآمن من آمن من قومه وحمل الأمانة من بعده ، ولم يضره من كذبه ، وأن الله ناصر دينه وحافظ كتابه وهديه بالمؤمنين من أتباعه ، وأن يوم القيمة هو يوم الفصل الذي يلاقى فيه كل عامل جزاء ما عمل .

وذكرت الآيات بعد ذلك هؤلاء الكفار بعن سبقهم من الأمم التي يمررون  
على ديارهم في ارتحالهم وأسفارهم ، وكيف كان موقف هؤلاء من أنبيائهم ،  
ثم كيف كانت عاقبتهم حين كذبوا .

كما ذكرت هؤلاء الذين ينكرون البعث والإعادة بها بمحيط جم ، وكيف  
ينزل المطر على الأرض الجرداء فتفجر بالحياة ، وتبخش بالزرع والثمار ،  
فيأكلون وتشبع أنعامهم ، أبعد هذا يحق لهم أن ينكروا الإعادة والبعث ،  
ويجحدوا القيامة والحساب ، ويستهزأوا بأهل الإيمان ويسأمون – في إنكار –  
من يحيي « يوم القيمة » ؟ وتختتم السورة آياتها بالرد الخامس على هؤلاء  
الجاحدين بأن هذا اليوم حين يأتي لا ينفع كافراً رجوعه عن كفره ،  
ومبادرته إلى الإيمان ، فالإيمان لا يقبل إلا من انتفع به ، وحل في قلبه وعقله  
في وقته المناسب ، وليس بعد قوات الأوان ، وهم كذلك لا يرجلون ولا  
يمهلون بل يؤخذون بالذنب ، ومبادر إليهم العقوبة .

ويؤتمرّ الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – بأن يعرض عن هؤلاء  
المكذبين ، فقد أدى الأمانة ، أي في التبليغ ، ويتذكر بعد ذلك ما يتظرونه  
من عاقبة الإعراض والتكذيب ، وفي هذا الأسلوب تهديد أي تهديد هؤلاء  
المكذبين بسوء العاقبة التي تستظرهم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ ۝ تَعْزِيزُ الْكِفَّارِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبٍّ  
 أَعْلَمُ ۝ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا ۝ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ  
 لِتُنذِيرَ قَوْمًا مَا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لِعَلَيْهِمْ يَهْتَدُونَ ۝  
 أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَبْنِيهَا فِي سِتَّةِ  
 أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ  
 وَلَا شَفِيعٌ إِنَّا نَسْأَلُهُ كُوْنَنَ ۝ يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ أَلْعَاءِ  
 إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ  
 سَنَةً تَقْتَلَ أَنْفُسَهُ ۝ ذَلِكَ عَلِيمٌ أَغْيَرٌ وَالشَّهِيدَةُ  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبِهَا

خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ طِينٍ ① ثُمَّ جَعَلَ لِسَانَهُ مِنْ سُلَّةٍ  
 مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ② ثُمَّ سُونَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ  
 لَكُمُ الْأَسْعَمَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَقْوَدَةَ قَلِيلًا مَا تَسْكُنُونَ ③

### معاني الكلمات والجمل :

- |             |  |
|-------------|--|
| لاريب فيه   | : لا شك فيه .                          |
| افتراه      | : افتעהه واحتلته .                     |
| لتذر به     | : لتتبه به وتخوف .                     |
| ولي         | : ناصر وحليف .                         |
| شفيق        | : وسيط يقضي بالحوائج .                 |
| يدبر الأمر  | : يفعل كل شيء ويصرف شئونه .            |
| يعرج إليه   | : يصعد إليه ويرتفع .                   |
| ما تعددون   | : ما تخصصون في حسابكم الأيام الدينية . |
| أحسن كل شيء | : أحكم وأجاد في إبداعه مخلوقاته كلها . |
| سلالة       | : خلاصة .                              |
| من ماء مهين | : من مني ضعيف هو النطفة .              |
| سواء        | : عدل خلقه وأكمل هيئته .               |

## الشـرح

كتاب رب العالمين :

( ألم ) تبدأ هذه السورة بالأحرف الثلاثة كما بدأت السورة السابقة والتي قبلها ، وقد سبق الكلام على المعنى الذي يتضمنه هذا البداء بهذه الحروف وغيرها من الحروف التي بدأت بها بعض سور القرآن الكريم .

ثم تبدأ بعد ذلك الآية التالية بأن هذا الكتاب الذي هو القرآن الكريم هو حق لا شك فيه ، وأن كل ما فيه من الموعظ والحكم والاحكام والتوجيهات فيها الصدق الذي يهدى إلى ما ينفع الناس دنياً وأخرة ، وأنه تنزل من رب العالمين لاشك في ذلك ولا مجال لإنكاره أو التردد في التصديق بأنه وحي أوحاه الله إلى رسوله ، فكفار مكة يعرفون الرسول ، وقد عاش منهم عمراً طويلاً قبل أن يحيطهم بما جاءهم به ، فما جربوا عليه كذباً ، بل اشتهر بينهم بالصادق الأمين ، ثم إن الآيات التي جاءهم بها ، وتنزلت عليه قرآناً يهدي إلى الرشد وإلى الطريق المستقيم - لا يقدر أحد منهم على أن يأقي بمعتها ، ولا يأسفون سورة منها ، وما عرفوا في كلامهم - على فصاحتهم وبلغتهم وبراعتهم في صرخ الأفكار والمعان - مثل هذا الكلام الحكيم المنير المحكم ، وهو بهذا فوق الشك وفوق الارتياب .

مع هذا كله يدعى من يدعي من أهل مكة من المشركين أن الرسول - حصل الله عليه وسلم - قد اخْتَلَقَه وصاغه ثم ادعى أنه ليس كلامه وإنما جاءه من عند الله ، وهزلاه يُرَدُّ عليهم بأن ما قاله الرسول - حصل الله عليه وسلم - حق ، وأن هذه الآيات التي جاء بها إلينا هي هدى الله وقرآن ، أرسل به ، ليحذرهم عاقبة الشرك ، وليخرج بهم من ظلمات الكفر والجهالة إلى رحابة الإيمان ونور الهدى .

ولقد كان هؤلاء يتطلعون إلى أن يكونوا كالآدم التي امتن الله عليها فبعث

فيها من يرشدها إلى الحق ، وها قد جاءهم رسول ما أتاهم من قبله رسول ،  
وكان أولى بهم أن يفرجوا بقدومه ، وأن يسعدوه ما جاءهم به ، وأن  
يستمسكوا بهدي الله الذي تنزل عليه ؛ لأنّه شرف لهم في الأمم ، وكراهة لهم  
في العالمين .

### الخالق المنعم :

لقد كان أبرز ما يدور عليه الصراع ، بين المشركيين في مكة ورسول الله  
— حبل الله عليه وسلم — مدة إقامته بينهم قبل الهجرة قضيّاً العقيدة ،  
وأقواها كانت قضية الإيمان بالله — سبحانه وتعالى — إماً واحداً لا شريك له ،  
ببيده ملائكة كل شيء ، وهو على كل شيء قادر ، له الكمال ولهم الكبرياء ،  
والقضية الثانية هي قضية البعث من بعد الموت والحساب والثواب والعقاب .

كانت هاتان القضيتان محوراً رئيسياً للدعوة في مكة . ومن هنا كثُر الحديث  
بأساليب شتى حولها في السور المكية ، ومن هنا أيضاً جاءت الآيات بعد  
ذلك تعرض هاتين القضيتين ، فالله سبحانه وتعالى الذي خلق السموات  
والارض وما بينهما في ستة أيام ، خلق هذا الكون الفائق وهذا الملائكة  
العريض الضخم النوع المتعدد الانواع ، والاجناس ، والأشكال ،  
والخواص ، والمظاهر ، والاستعدادات ، والوظائف ، المتاسق المترابط .  
كل هذا الخلق خلقه الله — سبحانه وتعالى — في ستة أيام ، أيام ليست  
ك أيامنا ، وقد تكون أطواراً ستة مرت بها السموات والارض وما بينها حتى  
انتهت إلى ما هي عليه ، أو مرّاحل ست في النشأة والتكون ، أو ستة دهور لا  
يعلم ما بين أحدها والأخر إلا الله ، كما قد تكون من أيام الله التي يوصف  
بعضها بقوله تعالى : « وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَا  
تَعْدُونَ ⑯ ⑰ » (١) أو قوله تعالى : « تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي

(١) المجمع : ٤٧ .

**بِئْرَكَانَ مِقْدَارُهُ تَحْمِينَ الْفَسَنَةِ ①**

وَحْقِيقَةُ هَذِهِ الْأَيَّامِ السَّنَةِ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَا سَيْلٌ إِلَى تَحْدِيدِهَا ، وَاللَّهُ  
سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يُلْبِقُ بِهِ  
سَبَحَانَهُ مَعَ كَيْالِ التَّرْزِيَّةِ عَنْ سَيَّاتِ الْمَحَدَّثَاتِ ، وَقَدْ سَمِّلَ مَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
عَنِ الْاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ قَالَ : « الْاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكِيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ  
وَالْإِبَاهَةُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَالسَّرَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ » .

وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى الْخَالِقُ الْعَظِيمُ الْقَادِرُ الْمُهِيمُ لَا حَيَاةٌ لِمَنْ يَلْجَا  
لِغَيْرِهِ ، وَلَيْسَ لِمَنْ يَشْرُكُ بِهِ نَاهِرٌ بِنَصْرِهِ ، وَلَا مَدْافِعٌ يَرْدِعُهُ ضَرَّاً ، أَوْ  
يَتَوَسَّطُ لَهُ فِي دَفْعِ أَذَى يَلْحِقُهُ ، وَفِي هَذَا تَبَكِّتُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَرْوَنَ  
عَظِيمَةَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى ثُمَّ يَلْجَاؤُنَّ إِلَى عِبَادَةِ أَصْنَامٍ لَا تَنْفَعُ ، وَقَدْ  
صَنَعُوهَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادَهُ .

وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَيْهِ مَرْدِ  
الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا ، أَحْكَمَهَا وَأَتَقْنَاهَا وَصَرَفَهَا ، وَمَرْدِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ  
كُلُّهُ وَمَا يَغْيِبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَتَصْعِدُ التَّائِبُونَ إِلَيْهِ  
وَتَثْبِتُ عَنْهُمْ فِي أَمْ الْكِتَابِ ، وَيَرْتَفِعُ إِلَيْهِ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، وَتَحْمِلُ إِلَيْهِ عَنْ  
طَرِيقِ مَلَائِكَتِهِ أَخْبَارُ الْعِبَادِ وَأَعْيُّلَمُ وَمَالَاتِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَحْيَاءِ فِي يَوْمٍ لَيْسَ  
كَيْاَيَمَا بِلَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَا نَعْدُ وَنَحْصِي ، وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ مَطْلَعُهُ عَلَى كُلِّ مَا  
يَغْيِبُ وَيَعْضُرُ ، فَوْرِي قَادِرٌ عَلَى كُلِّ مَا يَرِيدُ ، رَحِيمٌ فِي إِرَادَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، وَقَدْ  
أَحْكَمَ خَلْقَ خَلْقَهُ وَأَتَقْنَنَ فِيهَا أَبْدَعَ ، وَوَرَضَعَ سَنَاءً ثَابِتَةً يَسِيرُ عَلَيْهَا كُوْنَهُ  
وَيَجْرِي فِي حَدُودِهَا خَلْفَهُ ، وَقَدْ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانَ عَثْلَّاً فِي آدَمَ - عَلَيْهِ  
السَّلَامُ - مِنْ طَيْنٍ ، فَصَوَرَهُ عَلَى صُورَةِ بَدِيعَةٍ وَشَكْلِ حَسَنٍ ، وَفِي هَذَا  
إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اِبْتِدَاءَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَكُنْ مَنْتَطَوْرًا عَنْ كَاتِنَاتٍ أُخْرَى اِنْتَهَتَ  
إِلَى الْإِنْسَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ بَدْءُهُ خَلْقَهُ مِنْذَ لَحْقَهُ الْأُولَى مِنْ طَيْنٍ . ثُمَّ كَانَ نَسْلُ

(١) المخرج : ٤ .

هذا الإنسان نتيجة للتراويخ بين الذكر والأنثى من خلاصة النطفة الضعيفة التي تمر بمراحل داخل الرحم حتى تصير إنساناً سرياً.

في هذه الخلق من الطين ، ثم تكاثر الإنسان ، وتسوية الله له ، وتكريره إياه يجعله كائناً حياً ، وقد نسب الله تعالى الروح إلى ذاته تكريراً وتشريفاً ، ثم إتمام خلقة الإنسان وتكتميل نعمته عليه ، وتنزيهاً لتسويه خلقه جعل السمع لسماع به ، والبصر لنميز بين المضادات ، ولنرمي على هدي ، وهبنا عقولاً ندرك بها ونفهم ، هذه القدرة العظيمة التي شمل الله بها الإنسان ما كان أجدراً بها بالشكر وأولاها بالحمد ، ولكن كثيراً من الناس يحددون نعم الله ، ويتركون شكرها إلا فيما ندر من الأحوال والأوقات .



وَقَالُوا أَعْذَا حَسَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَوْ نَا لَنِي خَلَقْ جَدِيلَمْ بَلْ هُمْ  
 يَلْقَاءُ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ⑩ \* قُلْ يَتَوَفَّكُمْ مَلَكُ الْعَوْتِ  
 الَّذِي وَرَكَلَ رَكْدَ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ⑪ وَلَوْ تَرَى إِذَا  
 أَمْجَرْمُونَ نَا كُوَازْنَةَ وَسِرِيمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِبَّنَا بَصَرَنَا وَسِعَنَا  
 فَارْجَعَنَا نَعْمَلْ صَنْلَحَا إِنَا مُوقِنُونَ ⑫ وَلَوْ شَتَّنَا لَا كَيْنَا  
 كُلَّ نَفِيسْ هُدَنَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِي لَا مَلَانَ جَهَنَّمْ  
 مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ⑬ فَذُو قُوايْمَ أَنْتِمْ لِقَاءَ  
 يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا لَكِبَتَنَكَ وَذُوقُوا عَذَابَ أَنْخَلَدَنَكَ اَنْتُمْ  
 تَعْمَلُونَ ⑭ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِقَاتِنَنَا الَّذِينَ إِذَا ذُرُوا رَهَا خَرُوا  
 سِعَداً وَسَبُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكِبُونَ ⑮ هَلْ تَجَافَنَ

جَنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَارِعِ يَدْعُونَ رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمَا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ١٧ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ  
قَرْءَةٍ أَعْيُنْ جَزَاءً إِيمَانَكُوْنَاهُمْ يَعْمَلُونَ ١٨ أَفَنْ كَانَ كَانَ مُؤْمِنًا  
كَمْ كَانَ فَإِيمَانًا لَا يَسْتَوِدَنَ ١٩ أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْعَوَادِي زُلَّا إِيمَانَكُوْنَاهُمْ يَعْمَلُونَ ٢٠  
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا هَارِونَهُمُ الْنَّارُ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا  
مِنْهَا أَعْيُدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُوْقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ  
يَهُمْ تُكَذِّبُونَ ٢١ وَلَنْدِيَقْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ  
الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٢ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ  
ذِكْرِ بِعَائِدَتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ  
مُنْتَقِمُونَ ٢٣

## معاني الكلمات والجمل :

ضلتنا في الأرض	: حسرنا تراباً وغينا عن الأعين.
كافرون	: مكليبون ومنكرون.
يتوفاكم ملك الموت	: يقبض أرواحكم ويستوفي نفسكم.
ناكسوا رزوصهم	: مطرقو الرؤوس من الخزي والنندم.
فارجعنا نعمل صالحاً	: أعدنا للدنيا لتزمن ونعمل الخير.
موقون	: مصدقون بالبعث والحساب الآن.
لأتبنا كل نفس هداها	: طيأنا لها سبل الهدى وقدرناها فاهتدت.
حق القول	: الثابت المتأكد.
إنا نسيناكم	: تركناكم للعذاب كحال من نسي فلا يلتفت إليه.
عذاب الخلد	: العذاب الدائم الذي لا انقطاع له.
خرروا مسجداً	: سارعوا بالسجود شكر الله.
تجافي جنوبهم عن المفاجع	: تنسى وترتفع عن مكان النوم.
من قرة أعين	: ما يسر القلوب ويهيج العيون.
لا يستورون	: لا يتساوون ولا يتکافئون.
نزلاء	: متزلاً ومكاناً لنزولهم في خيافة الله.
العذاب الأدنى	: عذاب الدنيا.
العذاب الأكبر	: عذاب الآخرة.
يرجعون	: يتوبون من الكفر ويعودون للحق.
أعرض	: انصرف ولم يستمع أو يتدارك.
متقرون	: مجازون ومعذبون.

## الشرح

### البعث والجزاء :

من الحجج التي كان يسوقها المشركون في معرض إنكارهم للبعث استبعادهم إعادتهم للحياة بعد أن تبل أجسادهم بعد دفنهما ، وتناثر أجزاء هذه الأجساد واختلاطها بتراب الأرض ، وكان الرد عليهم لا يحتاج إلى دلائل كبيرة ، وإنما كان حسبهم أن يقال لهم : إن الذي يحيي ميت الأشياء من حولكم قادر على إحياء الموتى ، أو أن الذي أنشأها أول مرة — بعد أن لم تكن — قادر على إعادتها ، بل ذلك أيسر وأهون ، ولكن أهل الكفر كانوا يعاندون ويكتابرون ولا يُعملون عقوبهم ، فيجدون هذا الأمر الواضح الذي يقع في كل لحظة .

ويُزمر رسول الله — صل الله عليه وسلم — أن يخبر هؤلاء المنكرين أن ملك الموت الذي يوكل ويكلف ببعض الأرواح يتغىّل في الأمر ، ثم المرجع إلى الله ، حيث تجد كل نفس ما عملت ، ويقف الكل للحساب ، ويتعلّم لنا من صور القيمة مراراً مجرّدين الذين كانوا يجدون إمكان البعث وقد طأطأوا رؤوسهم ذلاًً ومهانة وهم يرون ما أنكروه حقيقة واقعة تراها أعينهم وتسمعها آذانهم ، وينضرعون في مذلة أن يرجعهم الله إلى الدنيا ، وأن يردهم إلى الحياة الأولى ، ليعملوا عملاً صالحًا معلّين أنهم يؤمّنون بكل ما جاءهم به رسول الله ، ويأنّهم يصدقون بالبعث ، ويعلمون أن ما فيه من حساب وجاءه حقٌّ وواقع .

ولو تعلقت مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته بأن يجعل كل الناس مؤمنين لتحققت تلك المشيئة ولتفوز هذا الأمر ، ولكن إرادته — لسابق علمه — قضت بأن تختل جهنم بالعصاة المكثفين من الجنة والناس أجمعين .

ويقال لهم يومئذ : لقد جحدتمبعث ونستم يوم الحساب ، ولم ت عملوا صالحًا يغريكم أحوال هذا اليوم ، فجزاكم أن تعذبوا عذاباً دائماً مستمراً جزاء أعمالكم وما قدمت أيديكم.

وفي الآيات إشارة إلى أن الجن مكلفوون ، وأنهم يحاسبون كما يحاسب الناس ، ولقد جاء القرآن الكريم مصرحاً بذلك في غير هذه السورة وذلك عن قوله تعالى :

« قُلْ أَرِحَى إِلَى أَنَّهُ أَسْتَعِنُ نَفْرِيْمَنَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانَنَا بَعْبَابًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَعَامَنَاهُ يَهْدِي وَلَنْ تُثْرِكَ بِرِبِّنَا أَحَدًا ② » (١) « وَانَّمِنْ أَمْلِيْمُونَ وَمِنَ الْقَنِيْطُونَ لَنَّ اَللَّمَ فَأَوْلَتِكَ تَخْرُرَا رَمَدَا ③ وَمَا الْقَنِيْطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَابًا ④ » (٢)  
 « وَإِذْ صَرَقْنَا إِلَيْكَ نَفْرَا مِنَ الْجِنِ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِرْنَا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ⑤ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِنَّ

(١) سورة الجن الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(٢) سورة الجن الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣

طَرِيقٌ مُتَّقِبٌ ⑦ يَنْقُومُوا إِجْبًا دَاعِيًّا اللَّهَ وَإِمْرًا  
 يَدْعُونَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجُونَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْبَحْرِ ⑧  
 وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَبِسْ يَعْجِزُ فِي الْأَرْضِ وَلَبِسْ  
 لَهُ مِنْ دُوَرِهِ أَوْلَاهُ أَوْلَاهُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ⑨

### أهل الإيمان وجزاؤهم :

الذين يصدقون بآيات الله حقاً ، ويخلصون قلوبهم وعقولهم لله . . هم  
 الذين يطعون أوامر الله سبحانه وتعالى ، ويختبرون ما نهى الله عنه ، ولا  
 تغيب عن قلوبهم وعقولهم رقابة الله عليهم وإحصاؤه لأعماهم ، كما لا  
 يغيب عنهم ذكر الآخرة فهم يؤدون ما عليهم من الصلاة ، وكلما ذكروا  
 نعمة الله سبحانه وتعالى عليهم ازداد خضوعهم له ، وإنما لهم عليه ، وتترتب  
 ورحمة في خضوع وخشوع وتذلل لله سبحانه وتعالى . ومن مظاهر إيمانهم  
 أنهم لا يقضون ليتهم على طوله في غفلة ونوم ، أو بين الملاذات والملاذ ،  
 وإنما هم يقرون من الليل في هداته وسكنونه يدعون الله في رهبة وخوف  
 من أن يكون لهم ذنب يبعدهم عن ربهم فيتوبرون من صغائر ما يعمر بهم ،  
 ويندمون إذا قصروا ويطعمون في ثواب الله سبحانه وتعالى ومرحصاته ، ولا  
 يضنون - بما يملكونه - عن البخل في وجوه الخير والطاعات . .

هؤلاء بسلوكهم هذا استحقوا رضوان الله ، وقد أعد لهم من الجراء  
 المدخر يوم القيمة ما لا يحيط به ، ولا يصل إلى كنهه أحد من النعيم المستور

ما يسعد التفوس ويشح الصدور ، ويسر العيون جزاء على ما قدموا من عمل صالح وما أخلصوا من نوايا وصدقوا فيه من مقاصد خيرة ومن طاعات في دنياهم . وقد روى أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن رب العزة قال : ( أعددت لعبادتي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا حطر عل قلب بشر ) قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ( فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين )<sup>(١)</sup> .

**عدل الله تعالى :**

لا يستوي مؤمن أخلص فله لله والتزم طاعته ، وأظلله الليل عابداً خارعاً لربه ، وأنفق في سبيل الخير مما رزقه الله ، وحمد لربه نعمه ، وعرف حفظه ، وسبح بحمده ولم يجاوز حدوده ، لا يستوي هنا مع فاسق يمسك بيده إلا في شهرة أو معصية ويتام لبله إلا عن زلة أو ذنب ، ولا يعرف لنعمة شكرأ ، ولا يؤذي لربه حقاً ، لا يستوي هذا وذلك بل لا ينبغي أن تعتقد بينهما مقارنة ، فهذا في القمة وذاك في هاوية وهو سجقة ، وإذا كانت التسورية بينها في الدنيا غير معقوله ، كذلك في الآخرة أولى وأحق ، والمؤمنون الذين ربّطوا الإيمان بالعمل الصالح هبأ الله لهم في الآخرة منازل يأدون إليها هي جنات الخلود جزاء ما عملوا وما أطاعوا في دنياهم

« يُطَافُ عَلَيْهِمْ يَصْحَافُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا  
مَا تَبَتَّهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ أَلَاعِينَ »<sup>(٢)</sup> .

« مِثْلُ أَجْنَةِ الَّتِي »

« وَعِدَ الْمُتَفَرِّنُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مَاءِ سَاجِدِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ

(١) سخن عليه .

(٢) سيرة في عرض ليلة ٧١

لَبِنْ لَرْ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَانْهَرَ مِنْ خَرْ لَدَةٍ لِلشَّرِّينَ وَانْهَرَ  
 مِنْ عَلَى مَصْنَى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ النَّعَمَاتِ وَمَغْفِرَةً مِنْ  
 رِبِّهِمْ ۝ ۱۱۴ ۝

أما الذين فسقوا عن طاعة الله ، وتمردوا عليه وعلى رسالته فرجعهم إلى النار ومردهم إلى عذاب العذير ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها لا يخفف عنهم العذاب ، كلما بليت جلودهم أبدلت لظل عذابهم متصلة ، ويقول لهم خزنة النار : ذوقوا عذاب النار وشدتها وهيئها الذي كتم تكالبون به وتتجحدونه في دنياكم .

ولقد توعدهم الله بأن ينزل عليهم في دنياهم عذاباً من المصائب والأسمام والبلاء والشدة لعلهم يعودون إلى رشدهم ويفيقون من غورهم ، ويعودون إلى هدى الله سبحانه وتعالى وطريقه المستقيم ، فإن لم يرجعوا عن الشرك والمعاصي ويتوبوا فالعذاب الأكبر في انتظارهم يوم لا ينفع مال ولا بنون ، و يوم لا تنفع شفاعة ولا مهرب منه .

وليس في الناس أشد ظلماً لنفسه من يسمع آيات الله وما يجب أن تقابل به من الإيمان والطاعة فيعرض عنها بحراكته . وينصرف عن هدى الله ويعصيه ويکفر بنعمته ، هؤلاء الظالمون لأنفسهم أجرموا فاستحقوا على اجرامهم أشد العذاب وأسوأ الانتقام .

وَلَقَدْ هَادَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ فَلَا تَكُنْ  
 فِي ضَرَبَةٍ مِّنْ لِفَافِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ⑯  
 وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِيْنَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَرَّوْا وَكَانُوا  
 بِغَايَاتِنَا يُوقِنُونَ ⑰ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يُخْتَلِفُونَ ⑱ أَوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ  
 أَهْلَكَاهُمْ قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُوْنَ فِي مَكَانِهِمْ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ أَفَلَا يَتَسَعَونَ ⑲ أَوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ  
 لَسْوِقُ الْعَامَةَ إِلَى الْأَرْضِ أَلْحَرِزْ فَنَخْرُجُ يَهُ زَرْعًا تَأْكُلُ  
 مِنْهُ أَنْعَمْهُمْ وَأَنْفَسْهُمْ أَفَلَا يَبْهَرُونَ ⑳ وَيَقُولُونَ مَنْ  
 هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ㉑ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ

لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ⑯  
 فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِهِمْ مُنْتَظِرُونَ ⑰

### معاني الكلمات والجمل :

الكتاب	: التوراة.
في مرية	: شك وربوة.
أنعة	: قادة يقتدون بهم في دينهم.
يهدون بأمرنا	: يدعون الناس ويرشدونهم بأمر الله وحديه.
يوفون	: يؤمنون ويعتقدون بقيناً.
يغسل	: يقضى ويعظم.
أولم يهد لهم	: أعلم بين الله لهم.
القرون	: جم قرن وهي الأسم الخالية.
يمشون في مساكنهم	: يعيشون في ديارهم ويشاهدون آثارهم.
الارض الحرز	: الباسة التي لا نبت فيها.
الفتح	: يوم القيمة.
ينظرون	: يخرجون ويمهلوث.

## الشرح

كتاب ورسول :

لثبت رسول الله - صل الله عليه وسلم - والتحقيق عنه مما يلاقيه من المشركين من عنت ومضائقات وتكذيب ، ويشرى له كذلك بدور المؤمنين معه في تحمل الإيمان وتكليفه وإداء لحقة عليهم - لذلك وغيره - ذكر الله سبحانه وتعالى لرسوله أنه أرسل موسى من قبله بالتوراة ، وأن التوراة التي حلها موسى أمانة من ربه كان هدى لبني إسرائيل من آمن منهم بها وتديبها وفهمها وعمل بها ، وحلها في عقده أمانة يدعوا بها وجهي إليها .

وأن هؤلاء الذين سلكوها في قلوبهم ، وجرى عليها سلوكيهم - كانوا قادة هداية وأئمة فلاح بما تحملوا من الصبر والجلد على التعلم والفهم ، وكذلك الصبر على تكاليف الدين وأعباء الرسالة ، وعلى ما يلاقونه في سبل نشرها والإقطاع بها بعد أن آمنوا بها وصدقوا بها .

وبناءً على المولى سبحانه وتعالى لرسوله ألا يداخله شك في أن ما يصادفه مع قوله هو ما صادف موسى من قبله فهذا يلقيان في المهمة وهي الرسالة ، كما يلقيان في أن كل واحد منها حل كتاباً هادياً ، وأن هناك من كذب موسى ، كما يجده محمد حوله من يكذبه ، وأن حوله من المؤمنين الصادقين من يهاتل من كان حول موسى عليه السلام .

وقد يحمل قوله تعالى : « فَلَا تَكُنْ فِي مِرْءَةٍ مِّنْ لِقَائِهِ » (١) إشارة إلى اللقاء الرسول - صل الله عليه وسلم - بموسى - عليه السلام - في مراججه إلى السماء ليلة الإسراء .

(١) سورة السجدة الآية (٢٣)

والأيات فيها من الترغيب ومن الحفظ على ترك النكذيب الموجه لشركي مكة رجاء أن يكونوا أمثال هؤلاء الهداء من بنى إسرائيل الذين آمنوا بالله وحملوا دينه أمانة فاهادوا وهدوا، ورَبِّعْلَمُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ، بِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي يُحَسِّنُ فِيهِ الْأَمْرُ بَيْنَ الْمُخْلَفِيْنَ، وَيَعْرُفُ أَهْلُ الْهُدَى أَنَّ هَدَاهُمْ هُوَ الْحَقُّ، كَمَا يَعْرُفُ أَهْلُ الْبَاطِلِ، وَيَغْرِي كُلَّ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ بِعَمَلِهِ قَاتِلًا إِلَى جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ، أَوْ إِلَى عَذَابٍ مُّقِيمٍ.

### نبصرة وتنذير :

من المثير للعجب ، والباعث على الدهشة ألا يتبه كفار مكة ومشركوها إلى ما كان من عواقب وخيمة لأقوام من الناس كانوا يسكنون البلاد التي يعرون عليها في رحلاتهم للتجارة ، جاءتهم رسائلهم نكتذبوهم فدمروا الله عليهم ديارهم وخراب مساكنهم ، وأذاقهم أشد العذاب ، أليس عجياً أن يروا كل هذا ويسمعوا ما كان من هؤلاء وما عوقبوا به ثم لا يتعظون ولا يهدى لهم كل ذلك لـ الاستقامة والإيان ، وفي هذه العبر ما يوقظ القلوب ويقنع العقول ! ١٩ .

أولاً يوقظ هؤلاء الغافلين أن يتذمروا - وهم ينكرون البعث والقيمة - هذا الطر الذي يرونـه يغمر الأرض الخامدة الصالحة للزراعة فتخضر من بعد الجدب ، وتنتـت الزرع وتسـمر أشجارها ، وتبـضـ بها يغدوـهم ويغدوـ دوابـهم ، أفلـا يتذمـرونـ هذا كله ! ١٩ـ

وإذا قيل لهم : إنـهم مـبعـوثـونـ منـ بـعـدـ الـمـوـتـ تـسـأـلـواـ فـيـ اـسـتـكـارـ وـجـحـودـ متـىـ يـكـونـ هـذـاـ يـوـمـ ؟ إـنـ كـانـ حـقـاـ سـيـاـيـ ، مـسـتـكـرـينـ حـسـدـقـ الـمـؤـمـنـينـ الـذـيـنـ يـصـدـقـونـ بـهـذـاـ يـوـمـ الـمـوـعـدـ وـيـطـلـبـ منـ الرـسـوـلـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - أـنـ يـقـولـ لـهـؤـلـاءـ الـمـكـذـبـيـنـ : إـنـ هـذـاـ يـوـمـ قـادـمـ لـأـعـالـةـ ، وـيـوـمـ يـأـتـيـ لـأـيـنـفـعـ الـكـافـرـيـنـ لـيـهـمـ بـهـ ، وـلـاـ يـسـتـجـابـ لـهـمـ إـنـ هـمـ طـلـبـواـ أـنـ يـتـظـرـواـ ،

وأن يعودوا ليعملوا صاحباً ويستدركون ما فرطوا فيه، ويطلب الله تعالى إلى  
الرسول - حصل الله عليه وسلم - كذلك أن يتركهم، وألا يلقى بالآليهم،  
وألا يعيا بهم ولا ينكذبهم، وألا يسوءه كفرهم ولا نعمتهم، وأن يتضرر ما  
وعده الله به من النصر والتأييد، كما يتظرون ما سوف يلحق بهم من جزاء  
النکذب، خذلاناً وعداناً مهيناً، ويوم يخل بهم لا ينصرف عنهم فهم في نار  
جهنم خالدون.





**سورة الأحزاب**  
**« مدنية »**  
**وآياتها ثلاثة وسبعون آية**



## مقدمة السورة :

بدأت السورة بطلب لزوم التقوى من رسول الله - صل الله عليه وسلم - وعدم الاطمئنان لأحد من الكافرين والمنافقين، واتباع هدي الله ووحيه، والتوكيل عليه وحده فهو نعم الوكيل، والرسول - صل الله عليه وسلم - قدوة المتقين، وأبصر الناس بحال الكافرين والمنافقين وما يضمروننه من الشر والكرامة له وللإسلام، ومخاطبة الرسول بما سبق إنها هو خطاب لكافة المؤمنين، وتعليم لكل سالك طريق الله القويم.

ثم كشفت زيف من يدعى أنه يغایر ما طبع عليه الخلق ، فيزعم أن له قليين في جوفه ، وأعلنت أنه كاذب ، ثم عرضت السورة لعادات جاهلية كانت مستحكمة في حياة الناس ، ولها تأثيرها الخطير على نظام الحياة بينهم فأبطلتها وقضت عليها وبيّنت حكم الله بشأنها . من ذلك موضوع الظهور ، إذ كان الرجل مجرم على نفسه زوجه بكلمة يطلقها لسانه ، فَتُقْوِضُ أركان الأسرة ، وتتفقى على كل صلة فيها ، ولا تعيدها إلى عصمته بعد ذلك طول العمر . أبطل القرآن الكريم العادة وحالجها وأدب فاعلها بما شرعاً من كفارة .

كذلك عرضت موضوع النبي وكان شائعاً بين العرب إذ كان الرجل يتخذ ما شاء من أبناء من غير ولده ، يتسبّبهم لنفسه ، ويرثهم ماله ، ويكون لهم كل ما للابناء من الحقوق والحرمات ، فأبطل القرآن هذه العادة كذلك ، وأبطل كل ما يترتب عليها من الآثار .

وكشفت السورة بعد ذلك عن مدى حرص النبي - صل الله عليه وسلم - ورحته بالمؤمنين ، وكيف أنه أول بهم وأحن عليهم من أنفسهم ، وتوج نساء الرسول - صل الله عليه وسلم - بخصوصيته هن :

لغيرهن منه، وكرامتهم بالاتساب إليه بأن أصبحن أمهات المؤمنين لمن كرامة الأمهات وحرمتهم، ومتزلجهن، كما رفع التوارث الذي كان قد استقر بين المهاجرين والأنصار منذ الهجرة.

ثم عرضت الآيات ليثاق النبيين الذين أخذ عليهم بأداء ما تحملوا من أمانة التبليغ والشهادة على أنهم.

وتحدثت السورة بعد ذلك عن نعمة الله على المؤمنين حين جاءهم جيوش الكفر، وظاهرها يهدى المدينة، وكيف بلغ الأمر بأهل الإيمان مبلغاً شديداً، عصف بالطمانينة، وزلزل القلوب، وكيف أمدَ الله المؤمنين بتأييده ونصره، ودخل أعداءهم وشتت شملهم، وفرق جمعهم، وكتب لجنته الفوز، وأخلفهم بالغي، وأورثهم الأرض والأموال.

ويأتي في ختام هذا القسم من السورة تغیر الرسول - حصل الله عليه وسلم - نساءه بين متع الحياة التي طلبتها مع التسریع بمحسان وبين مرضاة الله ورسوله، ونعم الآخرة، وما أعد للمحنات من الأجر العظيم - فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وتبيّن الآيات أن التي تعصي الله وترتكب خطأ من نساء التي يضاعف لها العذاب لعرفتها قدانة الذنب، وقربها من مصدر المدى، وأثرها في متابعة الناس لها اقتداء وتأسياً، أو صدأ عن الطاعة وانصرافاً عن الفضائل والطاعات.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْتُمْ  
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا ① وَأَتَيْتُمْ  
 رَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ  
 وَكَفِي بِاللَّهِ وَكِيلًا ③

### معاني الكلمات والجمل :

- اتق الله : دم على التقوى أو ازداد منها.
- ولا تطع الكافرين : ودم على عدم إطاعتهم.
- ولما تناقضت الآيات : يكفيك ربك حافظاً ومتولياً جميع أمراك.
- وكفى بالله وكيلًا : وكفى بالله وكيلًا.

## كفى بالله وكيلًا:

تُخاطب الآيات الكريمة الرسول — صل الله عليه وسلم — أن ينفي الله تعالى بالثبات عل الدعوة والمفتي عل أمر ربه، وعدم طاعة الكفار المشركين والمنافقين الماكرين من أهل المدينة الذين أظهروا الإيمان، وأخسروا الكفر، لأن هؤلاء المنافقين لا يألكنك وأصحابك إلا خبالاً، والله تعالى علهم بما نضره نفوسهم، وما تطوي عليه جوانحهم من الفساد فلا تسترهم في أمر، ولا تقبل منهم أي نصح، لأنهم غاثرون عذابون، وهو سبحانه حكيم يدير أمرك وأمر أصحابك وأمر الدعوة بحكمته كما يدير سائر شئون خلقه، فهو الحق أن تطاع أو أمر، ثم تطلب منه — صل الله عليه وسلم — أن يتلزم ما يوصي إليه من ربه ففعلي وحي الله تعالى الحق والصدق والخير والسداد فالله تعالى خير بما تعمل أنت وأصحابك لا يخفى عليه سبحانه شيء من أموركم، فانت وأصحابك في رعاية الله وحفظه، وسوف يجازيكم بما وعدكم إياه من الجزاء الحسن.

ثم امض على طريقك المستقيم مفوضاً أمرك إليه سبحانه معتمدًا عليه في كل شئونك — بعد أن تستفرغ جهداً — في الدعوة إلى الله، وكفى به سبحانه حافظاً وناصرًا توكل إليه جميع شئونك، ولا تلتفت إلى أحد سواه في أي شيء من أمرك، فهو حبيبك ونعم الوكيل، وهذا هو شأن المؤمنين دائياً وما يحب أن يكون عليه أمرهم.



مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ  
 فِي جَوْفِهِ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الْأَتْقَى نُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ  
 أَمْهَنِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدِيعَةً كُمْ أَبَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ  
 يَا فَوْهَكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ هِدِي السَّبِيلَ ①  
 أَذْعُوهُمْ لَا يَأْتِيهِمْ هُوَ أَقْطُعُ عِنْدَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَعْلَمُوا  
 إِبَاءَهُمْ قَلَّا خَوْنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمُؤْلِكُمْ وَلَبِسَ عَلَيْكُمْ  
 جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ يَهُ وَلَكِنْ مَا تَعَدَّتْ قُلُوبُكُمْ  
 وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ② النِّيَّ أُولَئِنَّ يَالْعُوْمِينَ مِنْ  
 أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ أَمْهَنِهِمْ وَأَوْلَوْا الْأَرْحَامَ بِعِضْهُمْ أُولَئِنَّ  
 يَبْعَضُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْعُوْمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ

تَقْعِلُوا إِلَّا أُولَئِكُم مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ  
مَسْطُورًا ③

معاني الكلمات والجمل :

تطاھرون منهن	: بتحریمهن علی أنفسکم تحریجاً مزیداً.
أدعیاءكم	: بقولکم لهن «أنت علیّ كفظہر أمی».
ذلکم قولکم بالغواهکم	: جمع دعی و هو الذی یدعی ابنا الغیر أبیه.
أنسط	: ما تقولونه لا حقيقة له.
موالیکم	: احدهم واقوم.
جناح	: نصر اذکم في الدين.
النبي أول بالمؤمنین	: إثم وذنب.
أولو الأرحام	: أكثر رحمة و رأفة بهم و أنفع لهم.
بعضهم أول ببعض	: أصحاب القراءات.
أولیانکم	: كل واحد منهم أحق بالتوارث.
معروفاً	: أحبانکم وأصدقانکم.
	: خيراً كالإنفاق والإهداء والإيماء.

## الشرح

### إبطال عادات الجاهلية المناقضة للحق :

بعد أن أمر الله تعالى رسوله الكريم - صل الله عليه وسلم - بتحريم العادات والاعراف عن طاعة الكفار والمنافقين أخذت الآيات الكريمة - بعد ذلك - في بيان بعض ما كان عليه أمر الجاهلية من عادات وتقالييد مناقضة للحق منافية لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك بضرب المثل أولاً ثم بيان بعض صور الفساد والانحراف التي كانت شائعة في العصر الجاهلي وفي هذه الدعوة الإسلامية، فتقرر الآية الكريمة أنه لا يجتمع في جوف إنسان واحد قلبان، لأن أصل الخلقة أن لكل إنسان قلباً واحداً، وكما لا يجتمع لإنسان واحد قلبان كذلك لا يجتمع ولا يتفق أن يكون موزعاً وغير موزع في وقت واحد فمن الجهة إلى الله تعالى بالطاعة صد عن المعصية، ومن الجهة إلى المعصية صد عن الطاعة.

وقد كان جيل بن معمر من الكفار ، وكان يحفظ كثيراً من الشعر والشِّر ، فكان يزعم أن له قلبيْن يعقل بكل منها أفضلاً من عقل محمد رسول الله ، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم جيل هذا شوهده يهلي هارباً وقد علق أحدي نعليه في يده والأخر في إحدى رجليه فناداه أبو سفيان بن حرب قائلاً: ما بال إحدى نعليك في يدك ، والأخر في رجلك؟

قال: ما شعرت إلا أنها في رجلني ، فعرف الناس حينذاك أنه لو كان له قلبان ما تسيّر تعله في يده . وكذلك كان من الشائع في الجاهلية أن يقول الرجل لزوجته: أنت علىَّ كظاهر أمي ، فتحرم عليه حرمة مؤبدة ، فنزلت الآيات الكريمة تبين بطلان هذا القول وتحريمه ، وجعل الحرمة مؤقتة حتى

يزدي من قال هذا كفارة لانتهاكه حرمة الدين، إذ حرم، ما أحل الله تعالى فمropic على تعديه، وفي هذا تأكيد لأصل الفطرة الإنسانية وإقرار لموازين الخلق وناموس الكون الذي وضعه الله تعالى فلا تصرير الزوجة أماً لمرد مقوله جاهلية فاسدة. كما كان من الشائع في الجاهلية – أيضاً – أن بعض الرجال كانوا يتعاونون أبناء غيرهم أو يستولون عليهم في الحرب، ثم ينسبونهم لأنفسهم، فيحملون اسم المتبنّى، ويصيرون مثل أبناءه من الصلب، وهذا أمر مناف للحقيقة وللفطرة التي فطر الله الناس عليها، فنزلت الآيات الكريمة تبطل هذه العادة الجاهلية.

روى الشیخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن زيد بن حارثة مولى رسول الله – صل الله عليه وسلم – ما كنا ندعوه إلا زيد ابن محمد»، حتى تزل القرآن: (ادعوهم لأبائهم) الآية، فقال النبي صل الله عليه وسلم: أنت زيد بن حارثة بن شراحيل<sup>١١</sup>.

وكان من خبره أنه سُئل<sup>١٢</sup> من قبيلته كلب وهو صغير، فاشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة، فلما تزوجها الرسول – صل الله عليه وسلم – وهبت زيداً له، ثم علم بع坎اته أبوه وأله فطلبوه، فخيره الرسول – صل الله عليه وسلم – أن يذهب مع أبيه أو يبقى مع الرسول الكريم، فاختار البقاء مع رسول الله – صل الله عليه وسلم – فأعنته الرسول وتبناه، فكانوا يقولون: زيد بن محمد، وقد تزوج زيد زبيب بنت جحش ثم طلقها، وتزوجها الرسول – صل الله عليه وسلم – بعد ذلك، فقال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عن ذلك، فنزلت الآية الكريمة تنفي أن يكون للمتبنّى حكم الابن حقيقة في الأحكام التي تعطى للأبن من النسب.

ونقض الآية الكريمة في إبطال هذه المزاعم الجاهلية قائلة إن ادعاءاتكم

هذه لست إلا فولاً بأفواهكم لا تغير من حقائق الواقع شيئاً: فإذا قال الزوج لزوجه أنت على كظهر أمي لم تصبح الزوجة أماً بهذا القول، وكذلك أمر النسب لا يثبت بادعاء بنوية من ليس ابناً من النسب فلا يصير التبني ابناللهم تبني.

وهذا هو القول الصادق، وهو الحق، وما تدعونه باطل وهو قول الله تعالى إذ به يبين لعباده طريق الحق وسبيل الرشاد، فدعوا أفواهكم هذه أيا الجاهلون واتبعوا قول الله تعالى الذي لا معقب لحكمه.

ثم تأمرهم الآيات الكريمة بما يجب أن يفعلوه، وهو أن يتسبوا أدعيةهم - الذين حقوقهم بآنسائهم - آبائهم، فلا تقولوا : زيد بن محمد، ولكن قولوا : زيد بن حارثة فذلك هو العدل والصواب. وإذا لم تعرفوا آباء هؤلاء الأدعية حتى تسبوهم إليهم، فإن الصواب أن يكونوا إخوانكم في الدين - إن كانوا قد دخلوا في الإسلام - أو مواليكم إن كانوا غير مسلمين.

ثم تغفي الآيات الكريمة في بيان حكم الشرع فيمن أخطأ، فترفع الحرج عنه، أي لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك قبل النهي عنه أو بعده تبياناً أو سبق لسان، ولكن الإثم والخجاج ثابت إذا فعلتموه متعمدين قاصدين - عن علم وقصد.

والله تعالى غفور رحيم يغفر ذنب من ظاهر زوجته أو ادعى بنوية غير ابنته إذا تاب ورجع عن ذنبه وعزم على عدم العودة إليه، ولا يعاقبه على هذا الذنب.

علاقة المؤمنين بالرسول الكريم وزوجاته وبإخوانهم المؤمنين :

بعد أن بيّنت الآيات السابقة أن محمداً - صل الله عليه وسلم - ليس أبا لأحد من المؤمنين أبداً نسب فيها عدا أبناءه وبناته، جاءت الآية الكريمة بعد ذلك تؤكد منزلة الرسول - صل الله عليه وسلم - ومكانته لدى المؤمنين

فهو أولى بهم من أنفسهم في وجوب طاعته ووجه وتقديره، لأن طاعته من طاعة الله تعالى، كما قال تعالى :

« فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فَإِنَّمَا تُحَكِّمُونَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا إِنَّمَا قَضَيْتَ وَلَمْ يُلِمُوا تَسْلِيمًا »<sup>(١)</sup>

روى البخاري عن أبي هريرة قال : إن رسول الله - صل الله عليه وسلم - قال : « ما من مؤمن إلا رأينا أول الناس به في الدنيا والآخرة ، افروعوا إن شئتم (النبي أول بالمؤمنين من أنفسهم) ، فائماً مزمن ترك مالاً ، فلتزنه عصبيته من كانوا ، ومن ترك دينًا أو خياعاً (عيالاً) فليأتني ، فأننا مولاهم ».

فيها الحديث الشريف بيان واضح الدلالة على حب الرسول الكريم - صل الله عليه وسلم - للمسلمين وشفقته بهم وفي الصحيح أن عمر - رضي الله عنه - قال : « يا رسول الله ، والله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي » ، فقال - صل الله عليه وسلم - لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسي ، فقال : يا رسول الله ، والله أنت أحب إلي من كل شيء ، حتى من نفسي ، فقال - صل الله عليه وسلم : - الآن يا عمر « أي الآن حمل ليهاتك وصحب يقيتك ».

وزوجات الرسول - رضوان الله عليهم - هن بمنزلة الأمهات لجميع المؤمنين في الحرمة والاحترام والبر والإجلال ، فيحرم الزواج منها ، كما يحرم الزواج من الأمهات على الحقيقة ، ولا يحرم ميراثهن أو التر裘 من بناتها ، كما يعتبرن في حكم النظر إليهن مثل الأجنبيات اللواتي لسن بأمهات حقيقيات . فمعندهن منزلة الأمهات في الحقوق الادبية الواجبة على الآباء نحو أمه ، ووصاة الإسلام بالأمهات وصاة ما بعدها زيادة لستزيد .

## تشريع جديد لأحكام الميراث :

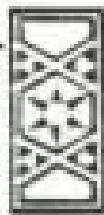
كان أمر التوارث في بداية الدعوة الإسلامية قائماً على الاخاء بين المسلمين، ولم يكن التوارث بالنسبة لـ نكاح المهاجري بirth الانصارى في بداية المиграة [روى هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وذلك لأنّ معاشر قريش لما قدمتا المدينة [يعني مهاجرين] قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الانصار نعم الاخوان ، فأخذناهم فأورثناهم وأورثناهم ، فأخذ أبو بكر خارجة بن زيد ، وأعطيت أنا كعب بن مالك ، فجئت فوجدت السلاح قد أُقتل ، فوالله لقد مات عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتى إنّ الله تعالى هذه الآية فرجعنا إلى مواريثنا»<sup>١١</sup> .

فيسن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن القرابة أولى من الخلف في أمر الميراث ، واستقر أمر التشريع على ذلك بعد تزول هذه الآية الكريمة .

ولكن تشريع الميراث هذا لا يمنع بر المؤمنين والأولياء من غير الوارثين وتقديم العون لهم في الحياة الدنيا والوصية لهم في حدود ما أقره الشرع في أمر الوصية إلا تزيد عن ثلث التركة ، وحتى الولي غير المسلم يجوز أن يعتمد بر المسلم إليه .

وبذلك حدد الإسلام دائرة الإرشاد ، وأبقى دائرة البر مفتوحة لجميع الأولياء ، ليكون المسلم في سعة من أمره ، ولمواجهة العلاقات الاجتماعية المتعددة والتغيرة وهذا الأمر الذي استقر عليه تشريع الميراث وبر الأولياء مسطور واضح في كتاب الله تعالى فلا يجوز عليه تغيير أو تحريف بعد ما نزل به القرآن الكريم .

(١) نسخة الفرمطى - ج ١١ ص ١٢٦ طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة .



وَإِذْ أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ  
 وَمِنْ نُوحٍ وَأَبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمْ وَأَخْذَنَا  
 مِنْهُمْ مِثْقَلًا غَلِيقًا ۝ لِيَتَعَلَّمَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ  
 وَأَعْدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَكَايِهَا الَّذِينَ هَامُوا  
 أَذْكُرُ وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ  
 رِحْمًا وَجُنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَكَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ بِصِيرًا ۝  
 إِذْ جَاءَهُوكُمْ مِنْ قَوْقَرْ وَمِنْ أَنْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ  
 الْأَبْصَرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَارِجَ وَنَظَرُونَ بِاللَّهِ  
 الظُّنُونَا ۝ هَذِهِكَ أَبْتَلَى الْعُمَّمُونَ وَزَلَّلُوا زِرَّ الْأَكْلِ  
 قَدِيدًا ۝ وَمَذَّبَّلُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرْضٌ مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾ وَإِذْ قَالَ  
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأْهِلُّ يَتَرَبَّ لِامْقَامٍ كُّلُّ فَارِجُوا  
وَيَسْتَغْلِلُنَّ فِرْيقٌ مِّنْهُمْ الَّذِي يَقُولُونَ إِنَّ بَيْوتَنَا عُورَةٌ وَمَا  
هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فَرَارًا ﴿٢﴾ وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ  
مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُهْلَوْا أَلْفِتَنَّهَا لَا تَوْهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا  
بَسِيرًا ﴿٣﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَنْهُدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يُؤْلُونَ  
الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْفُولاً ﴿٤﴾ قُلْ لَّمْ يَنْفَعَكُّ  
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا يُمْتَعِنُونَ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعِصِّمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ  
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦﴾

## معان الكلمات والجمل :

ميثاقهم	: عهودهم .
الصادقين	: رسول الله .
جنواداً لم تروها	: هم الملائكة .
من فوقكم	: من أعلى الوادي شرقاً .
من أسفل منكم	: من أسفل الوادي غرباً .
راحت الأ بصار	: مالت حيرة ورعباً .
ولبلغت القلوب الحناجر	: وكادت أن تخرج من الرعب .
وتقطتون بالله الغنوون	: وتخالف ظنونكم وتتبادر بحسب تفاوت الإيابان .
ابتلي المؤمنون	: امتحنوا بالشدائد والمحن وتزايد اضطرابهم .
وزلزلوا زلزالاً شديداً	: من شدة المول .
الذين في قلوبهم مرض	: هم المنافقون .
لامقام لكم	: لا فائدة من إقامتكم في العسكر .
إن بيوتنا عورة	: إن بيوتنا خصائص ليست بخصوصية .
من أقطارها	: من جوانبها ومداخلها .
الفتنة	: خيانة المؤمنين أو الردة والكفر .
آتونها	: جاؤوها وأعطوهـا .
ما تلبـوا	: لم يتـظروا .
مستولاً	: مطلوبـاً صاحـبه بالوقـاء به وـمعـاقـباً عـلـى تركـه .
يعصـمـكم	: يحمـيـكم .

## الشرح

ميثاق خليط :

مهمة الرسول عليهم السلام تحمل الرسالة وبلغها إلى من أرسلوا إليهم ، وقد أخذ الله على النبيين عهداً وثيقاً أن يزدرا الأمانة التي كلفوا أداءها دون أن يخففهم تهديد أو وعيد ، أو يزحرهم خوف أو إيذاء ، وقد ضمن الله لهم الحياة والنصر ، كما ضمن للمرءين بهم ، الحاملين للأمانة معهم ، ومن بعدهم ، تأليفاً ونمراً وحامية وتكريماً في الدنيا وفي الآخرة ، وأعد للكافرين الملعونين خذلان الدنيا وخسران الآخرة؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يرسل للناس من جديهم فلا يعذب الفسلاك إلا بعد أن يبين لهم وجه الفسلاك ، ثم يأمرهم بالانصراف عنه ، ويكشف لهم عن غايته من أمره ، وصالحهم فيما يدعوههم إليه ، ثم يسامحهم بعد ذلك : يسأل المؤمن الصدق ، ليجزيه عن عمله خيراً ، كما يسأل المكذب لتقوم عليه الحجة وتلزمـه العقوبة .

يقول الله تعالى : « \* بَتَّا إِلَيْهَا الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أَتَرَى إِلَيْكَ  
مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَقَاتِلْ فَلَمْ يَلْفَتْ رِسَالَتِهِ » .

ويقول تعالى : « مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ  
اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ  
قَدْرًا مَقْدُورًا ﴿٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَتِ اللهِ وَيَخْشُونَهُ

وَلَا يَخْنُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢٦﴾

وقال سبحانه وتعالى: « لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ  
وَأَحَاطَ بِهَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَعَدَدًا ﴿٢٧﴾

وقال عز وجل:

« وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُمْ لَمْ

الْمَنْصُورُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ جَنَدْنَا لَهُمُ الْعَظِيبُونَ ﴿٣٠﴾

وقال جل شأنه: « وَمَا كَانَ مُعْذِيزِينَ حَتَّى نَبَعَثَ رَسُولاً ﴿٣١﴾

فها من رسول من الرسل إلا وقد أرسل بمعهمه، وأخذ عليه، الميثاق  
بإبلاغها، سواء في ذلك محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وغيره من  
الرسل السابقين، كنوح وابراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام.

« لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ جُنَاحٌ بَعْدَ الرَّسُولِ... ﴿٣٢﴾

غزوة (الأحزاب) أو (الختدق):

تعرض الآيات التالية لحدث من أكبر الأحداث في حياة المسلمين  
الأول، ومسيرة الدعوة الإسلامية، فيعد غزوة أحد بوقت قليل خرج نفر

(١) الأحزاب: ٣٦، ٣٨.

(٢) الجن: ٢٨.

(٣) الصافات: ١٧٣-١٧٤.

(٤) الإسراء: ١٥.

(٥) النساء: ١٦٦.

من زعماء اليهود وقادتهم ومن مختلف طوائفهم حتى قدموا على قريش بعكة، فدعوهם لحرب الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - على أن يتعاونوا معهم على حربه، وأن يساعدوهم في القضاء عليه واستصال دعورته، وفرحت قريش بذلك، فلقد كان أكبر أملهم يتركز في القضاء على رسول الله - صل الله عليه وسلم - والقضاء على الإسلام، وتوعادوا على القتال وعلى أن يلحقوا بهم في المدينة.

ونخرج هؤلاء التفر من اليهود يتتصدرهم سلام بن أبي الحقيق التضري، وكناة بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب التضري أيضاً، وهودة بن قيس الراطلي، وأبو عمار الراطلي.

خرج هؤلاء ومعهم أنواعهم من اليهود من بني التضري، ومن بني واليل، وانجهاوا إلى غطفان وأخieroهم بها كان من شأتمهم مع قريش، واتفاق قريش معهم على حرب المسلمين.

كما انصلوا بغير غطفان من القبائل واتفق الجميع على عمارية المسلمين وخرجوا جميعاً ووجهتهم المدينة لغزوها والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها، وكان ذلك في العام الرابع أو الخامس للهجرة وقد أطلق على هذه الغزوة اسم غزوة «الأحزاب» وذلك لتجتمع هذه الطوائف وتخربها لحرب المسلمين، وقد أطلق عليها أيضاً اسم غزوة الخندق وذلك لأن الرسول - صل الله عليه وسلم - حين علم بهذا الشأن استشار أصحابه فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة قياماً المسلمين ومعهم رسول الله - صل الله عليه وسلم - في حفر الخندق بكل جد ونشاط، حتى اكتفى حفر الخندق في المناطق المحيطة بالمدينة ، والتي يمكن أن يعبر منها الأعداء المهاجمون من المشركيين .

وبحسب أقوال قريش ومن تبعها من بني كنانة وأهل عبامة في جندي كثيف لا يقل عددهم عن عشرة آلاف مقاتل ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حين أقبل هؤلاء وأولئك وجدوا الخندق حول المدينة فعاقبهم عن

ال مجرم ، ورأوا ألا سيل إلى اقتحامه ، فتحصنتوا حوله وأقاموا عساكرهم : طائفة أسفل الوادي من جهة المغرب وهي قريش ومن معها ، وطائفة أعلى الوادي من جهة الشرق ، وكان المسلمون ، وجيشه لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل ، قد خرجوا إلى خارج المدينة والخدق بينهم وبين العدو ، ودام الحال على ذلك بضعاً وعشرين ليلة يتراثقون فيها بالسهام ، ولم تكن بينهم حرب إلا مصارعة بين ثلاثة من الفرسان اقتحموا الخدق على خيولهم من جهة ضيقه ، وقد قتل أحدهم صرعيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وفر صاحباه ، وقد لحقت بال المسلمين شدة من الحصار وخوف من كثرة جيش العدو ، لكن الله سبحانه وتعالى منْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالنَّصْرِ ، وأيدهم بما رد أعداءهم خائبين لم ينالوا خيراً .

وفي أثناء الحصار كانت هناك طائفة من اليهود تقim حول المدينة ، وكانت بينهم وبين المسلمين معاہدة نصرة وحماية ، لكن اليهود كالعهد بهم لا عهد لهم ولا ذمة ، تحالفوا مع الأحزاب على حرية والغدر به ، وأعلنوا ألا عهد بينهم وبين المسلمين ، وكشفوا عن عمالتهم للأحزاب ، وفي هذا الوقت جاء من غطفان واحد إلى الرسول - صل الله عليه وسلم - ملائماً هو نعيم بن مسعود ، فقال لرسول الله - صل الله عليه وسلم - : «إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بها شئت فقال رسول الله صل الله عليه وسلم - : «إنها أنت رجل واحد فدخلت علينا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة<sup>(١)</sup> ». ولقد تكون نعيم بحيلة بارعة أن يقضى على الثقة بينبني قريطة والأحزاب فتجمدت نصرتهم لهم ، ثم كان من أمر انصراف الأحزاب خائبين ما كان ، وجاد دور بنى قريطة وقد نزلوا على حكم سعد ابن معاذ فيهم ، فحكم بقتل المقاتلة وسي النساء والذراري ، وأن تكون ديارهم وأموالهم للمهاجرين . ولقد توزع الحديث عن هذه الغزوة في الآيات من ٩ - ٢٧ من هذه السورة الكريمة .

<sup>(١)</sup> استقر عليه

اذكر وانعم الله عليكم :

يَمْتَنِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَةِ الْجَلِيلَةِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى ذِكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِحْفَارِهَا، لِيَشْكُرُوْهَا حَقَّ شَكْرِهَا. وَقَدْ تَجَلَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ الَّذِي صَوَرَهُ أَيَّاتُ الْكَرِيمَةِ أَيْلَعْ تَصْوِيرَ، فَقَدْ احْتَشَدَتْ جَمْعُ الشَّرِكِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ الْمُنْوَرَةِ فِي أَعْدَادٍ هَائِلَةٍ مِّنَ الْجُنُدِ الْمَدْجُونِ بِالسِّلاحِ، حِيتَ حَاصِرُوهَا مِنْ أَعْلَاهَا وَمِنْ أَسْفَلَهَا، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ – فِي قَلْةِ عَدْدِهِمْ – قَبْلَ بَهْلَا الْجَيْشِ الْفَخِيمِ الَّذِي جَمَعَ كُفَّارَ قَرِيشٍ وَحَلْفَاهُمْ مِّنَ الْقَبَائلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ عَدْدُ جَيْشِ قَرِيشٍ وَمِنْ مَعْهُمْ مِّنْ أَهْلِ كَنَانَةٍ وَعَيْمَةٍ عَشْرَةَ آلَافَ فَضْلًا عَنْ جَيْشِ غَطَّافَانَ وَمِنْ مَعْهَا.

وَلَمْ يَدْخُرُ الْمُسْلِمُونَ جَهْدًا أَوْ طَاقَةً فِي الإِعْدَادِ لِلْمَعرِكَةِ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ، فَأَمْدَهُمْ بِجَنَدٍ مِّنْ عَنْدِهِ، لَا قَبْلَ بِلِحَاظِ الشَّرِكِ بِهَا، وَتَمَثَّلَ جَنَدُ اللَّهِ الْغَالِبِ فِي رِيحِ عَاصِفَةِ اجْتِاحَتْ مَعَسَّرَ الشَّرِكِ، فَاطَّافَاتْ نِيرَانَهُمْ وَقَلَبَتْ قُدُورَهُمْ، وَطَارَتْ بِخَيَامِهِمْ، وَفِي الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَمْ يَرُهُمْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَىٰ بِجَمِيعِ مَا عَمِلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِعْدَادِ لِلْمَعرِكَةِ إِذَا استَغْرَقُوا كُلَّ جَهْدِهِمْ فِي الْخَشْدِ الْعَسْكَرِيِّ وَحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَالصَّابَرُ عَلَىٰ شَدَّةِ الْمَحْسَارِ وَالسَّهْرِ عَلَىٰ حِرَاسَةِ الْخَنْدَقِ بَصِيرًا لَا يَنْفَعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِّنْ أَمْرِهِمْ، وَكَانَ مُقْتَضِى عِلْمِهِ بِحَالِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَصْرَهُ، وَأَمْدَهُمْ بِجَنَدِهِ الَّذِي لَا يَغْلِبُ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَعْرُضَ الْمُسْلِمُونَ لِامْتِحَانَ رَهِيَّاً تَمْلِكُهُمْ فِيهِ الْحَزَنُ، وَدارَتْ أَعْيُنُهُمْ مِّنَ الْحَيْرَةِ، وَكَادَتْ قُلُوبُهُمْ تَنْخَلُعُ مِنْ شَدَّةِ الْمَوْقِفِ، وَدَخَلَتْ بَعْضُ النُّفُوسِ الظُّلُونَ فِي أَنْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُمُ النَّصْرُ فِي هَذِهِ الْمَعرِكَةِ، وَتَحْقِيقُهُمُ الْهَزِيمَةِ، وَلَكِنْ عَيْنُ اللَّهِ السَّاهِرَةِ كَانَتْ مَعْهُمْ بِالرَّعَايَا وَالْعُونَ وَالْتَّأْيِدِ.

## المتحرون :

في هذا الجو العاصف تتشتت بين المسلمين همّات المنافقين . وضياع التقوس والقلوب ، تحاول أن تفتت صفوف المسلمين ، وتوهن عزائمهم ، وتحاول أن تضخم من شأن العدو ، وأن تزيّن للمقاتلين أن النصر بعيد ، وأن وعد الله ورسوله لن يتحقق ، ولقد حاولت طائفة منهم أن تجذب أهل المدينة إلى الرجوع ، وترك ساحة القتال ، ويذهب في هذه اللحظات الخامسة فريق من المنافقين يستأذن في العودة إلى المدينة ، لأن بيتهم مهددة وغير حصينة ، وأن نساءهم وأولادهم فيها ، ويخشون أن يدخل عليهم العدو ، مدعين أنها مكشوفة ، وتحتاج إلى حماية ، وما كانت كيما يقولون ، وإنما كانوا يريدون الفرار والهرب .

فقد روي أنبني حارثة بعثت بأوس بن قيظي إلى رسول الله - صل الله عليه وسلم - يقولون : «إن بيتك عورة» وليس دار من دور الأنصار مثل دورنا . ليس بيننا وبين عطفان أحد يردهم علينا ، فلأننا فلترجع إلى دورنا ، فتمنع ذرارينا ونساءنا فلأنهم لهم ، قيل ذلك سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله لا تأذن لهم إنما والله ما أحسنا وإياهم شدة إلا صنعوا هكذا . . . . وهؤلاء المنافقون لو جاءهم العدو من كل مكان ودخل عليهم من كل جانب ثم طلب إليهم الخيانة والردة ومحاربة المسلمين لما تواتروا في فعل ذلك ، وما فكروا ولا ترددوا في الإقدام عليه إلا قليلاً ، وهؤلاء المنافقون كان قد سبق لهم أن جبنوا يوم أحد ، ثم تابوا وعاهدوا النبي - صل الله عليه وسلم - أنهم لا يولون الأدبار في غزوة بعدها .

وتنذكر الآيات هؤلاء الذين عاهدوا بأنهم سرّؤلون أمام الله عن عهدهم وأن فرارهم وهرولتهم من المعركة لا يحميهم من الموت أو القتل ،

وأن بقاءهم في الدنيا - منها يعتقد بهم - لن يطول إلا قليلاً، ولا يذوقون فيه إلا متعة عجل ثم يمضون إلى حساب الله .

وكما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يبين لهم أن هروريهم لا ينفعهم، أمره كذلك أن يبين لهم أنهم لا ملجأ لهم من الله، ولا حامي لهم من دونه، وأنه حين يريد بهم أمراً يتفع أو يضر، يسوء أو يسر - لابد أن يصلهم وبيلغهم ، ويتحقق فيهم معه ما شاء الله ، ولا يزد عنهم مشيته صديق ولا ناصر .





\* قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْوِقِينَ \*

مِنْكُمْ وَالْقَابِلِينَ لَا خَوَانِيمَ هَلْمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ إِلَيْنَا  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنْجَةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفَ رَأَيْتُمْ  
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَمَا لَدِيْ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ  
الْعُوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْسَّيْنَةِ حَدَادًا إِنْجَةٌ  
عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَاهُكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاجْبَطَ اللَّهُ أَعْنَاهُمْ وَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٧﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَدْهُوْا  
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْا نَهْمَ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ  
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَإِنْكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيْكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا  
قَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْرَةٌ حَسَنةٌ

لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ②١  
وَلَمَّا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَذْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا  
وَتَسْلِيْمًا ②٢ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ  
عَلَيْهِ فَنِهَمْ مِنْ قَضَى نَحْبُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا  
تَبَدِيلًا ②٣ لِيَحْرِزَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيَعِذِّبَ  
الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا  
رَحِيمًا ②٤ وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَرِبَّنَالْأَخْرَى  
وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَنِّيْزًا ②٥  
وَأَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَارِصِبِّهِمْ  
وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ  
فَرِيقًا ②٦ وَأَرْثَكُرَأْرَضِهِمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَائِرَ

# تَعْلُوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٧﴾

## معاني الكلمات والجمل :

: المثبطين الصارفين الناس عن رسول الله - صل الله عليه وسلم.	المعوقين
: تعالوا إلينا ما نحن فيه من الآمن .	هلم إلينا
: الحرب والقتال .	الباس
: بخلاء عليكم بالنصرة والنفعة .	أشحة عليكم
: إذا حل ما يوجب الخوف من ناحية العدو .	لماذاجاء الخوف
: تلف عيونهم في أحداقهم يميناً وشمالاً وذلك ووضع الجبان إذا رأى ما يخافه .	تدور أعينهم
: يغمس عليه .	يغش عليه
: آذوكم بالكلام .	سلقوكم
: شديدة سليطة .	حداد
: تبخّل بالكلمة الطيبة .	أشحة على الحبر
: أبطل .	أحيط
: الذين تجمعوا لحرب رسول الله - صل الله عليه وسلم .	الأحزاب
: أقاموا مع الأعراب في البدية بعيداً عن الخطر .	يادون في الأعراب
: قدوة طيبة .	أسوة حسنة
: استشهد .	قضى نحبه
: عاونوهم .	ظاهروهم
: جمع صيصة وهي الحصون .	صياصيهم

## القاعدون عن الجهاد:

في كل جماعة يوجد الثابت القوي والفارس المفتح والمحمس الصبور، كما يوجد الضعيف الجبان الواهي العزم المخذل الفنين بالجهد والعرن، وفي غزوة الأحزاب كان هناك كثير من ضعاف النغوس والمعوقين عن الجهاد والذين حاولوا أن يثنوا المجاهدين عن الفداء والتضحية، وكانت لا يشاركون المجاهدون في استعدادهم للمعركة إلا قليلاً، ويخلون بالجهاد والمال، فإذا اقترب الخطر ارتعدت قرائحهم، ودارت عيونهم في مأقيهم كأنهم يعانون سكرات الموت، حتى إذا ذهب الخوف تناولوا المؤمنين بالذم والإساءة، ورموا غيرهم بيا فيهم، وادعوا لأنفسم ما ليس لهم، ومع ادعائهم العريض بمشاركة في القتال فهم يضلون بكل خير، ولا يقدمون معونة، وأمثال هؤلاء من الشجعان عند الأمان والرخاء، الجبناء عند كل شدة وخوف، الأشخاص بالكلام، الأشحاء على الخير وأهله، هؤلاء موجودون في كل مكان وفي كل زمان، وهؤلاء قضى الله بأنهم لم يؤذنوا، فأبطل تأثيرهم على أهل الإيمان الراسخ، ولم يتُّجَحْ لهم كيداً، وذلك يسر على الله سبحانه وتعالى وما شئْ عَلَى اللَّهِ بِعِصْرٍ.

هؤلاء ظلوا حتى بعد ذهاب الأحزاب يتتصورون أن أولئك لم يذهبوا، وظلوا يثرون الأراجيف والشائعات ويحاولون إضعاف العزائم وتوهين القوى، وهؤلاء يتضمنون لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة - إذا أنس الأحزاب مرة أخرى -، ويتمكنون أن يكونوا في أعرق البدارية، بعيداً عن الحرب، التهاسا للأمان، يسألون عن أخباركم بعيداً من المعركة، ولو قامت بيتكم وبين الأحزاب معركة ما شاركوا في القتال إلا مشاركة قليلة لا تذكر، لا يتعرضون لها مباشرة خوفاً وهملاً، مع محاولة التجاة من أهوال المعركة.

## الأسوة الحسنة .

لقد كان لرسول الله - صل الله عليه وسلم - في هذه المعركة أخطر دور وأعظمه، كثأره - صل الله عليه وسلم - في كل غزوة من الغزوات، بل في كل شأن من الشؤون، فلقد كان صل الله عليه وسلم على الرغم من المهوو والضيق المجهد، بمنابع الأمان للMuslimين، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان .

عمل في الخندق مع المسلمين يضرب بالفأس، ويحمل التراب ويشارك المرجذرين، وكان بين المسلمين ينبعاً يتفجر في كيامهم بالرضا والحماسة، والثقة والاعتزاز، وتحدث سليمان الفارسي أنه قال ضربت في ناحية الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله - صل الله عليه وسلم - قريب مني فلما رأى أضراب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به .

ولقد كان رسول الله - صل الله عليه وسلم - مثلاً - يحتذى في كل شيء وقدوة يتبع هداها من كان الله سبحانه وتعالى قصده ورجاه ، ووجهه وغايته ، ومن عرف اليوم الآخر ، وصدق به ، وهب نفسه لاجتياز عقباته ، منطلياً عملاً صالحًا مُنجِيًّا ، وذكر الله كثيراً عند كل فعل وكل قول ، ولم يغب ذكره تعالى عن خاطره في الليل والنهر ، وفي السر والعلانية .

## المؤمنون والأحزاب :

إذا كان المؤمنون قد هالتهم جموع الأحزاب وأفزعتهم جحافل الشرك القادمة لحربيهم ، فإنها هم بشر كالبشر وللبشر طاقة، لا يكلفهم الله ما فوقها ، ومن أجل ذلك وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : « هُنَّ الْكِ

**أَبْشِلَ الْمُؤْمِنُونَ وَرَزِّلُوا زَرَّا لَا يُكَدِّي دَأْ** ⑩ «<sup>(١)</sup>» لكنهم مع كل هذا عندما رأوا جموع الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وقد وعدهم أن يمحى لهم، وأن يشد البلاء عليهم، فان هُمْ صبروا وجاهدوا، فنصر الله منهم قريب، وتأييده لهم واقع وأكيد، إنهم صدقوا قول الله سبحانه وتعالى ووعده في قوله تعالى من قيل:

«أَمْ حِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا

أَجْنَةً وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثْلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْهُمْ

إِيمَانًا وَأَفْرَارًا وَرَزِّلُوا حَقَّنَ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ظَاهَرُوا

مَعَهُمْ مَنِ نَصَرَ اللَّهَ إِلَّا إِنَّ نَصَرَ اللَّهَ قَرِيبٌ ⑪ «<sup>(٢)</sup>»

يقول المؤمنون هذا وعد الله وهذا وعد رسوله وصدق الله وعده كما صدق وعد رسوله وما زادهم حول الموقف ولا شدة المعركة إلا إيهاناً وثباتاً وعزيمة وتسلية لأمر الله سبحانه وتعالى وإذاعاناً لحكمه.

إذا كان من عرض القرآن لسلوكهم في المعركة المنافقون الجبناء، والتقاعدون المثبتون، فإن في المعركة كذلك رجالاً صدقوا الله وعدهم، وثبتوا على عهدهم مع الله، فنتهم من سبق إلى الشهادة، ومنهم من يتظر دوره، لم يُدْكِروا ولم يُغَيِّروا ولم يتحرقوه عن الصراط القويم.

عن ثابت قال: عمي أنس بن النضر رضي الله عنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يوم بدر فشق عليه وقال: أول شهد شهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غبت عنه ، لئن أراني الله تعالى

(١) الأحزاب (١١).

(٢) الفرق (٣٢).

مشهداً فيها بعد مـع رسول الله - صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ - لـيرـئـن الله عـزـ وـجلـ ما أصـنـعـ، قال فـهـابـ أنـ يـقـولـ غـيرـهـ، فـشـهـدـ مـعـ رسـولـ اللهـ-صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - يومـ أحـدـ فـاستـقـيلـ سـعـدـ بـنـ مـعاـذـ فـقـالـ لـهـ أـنـسـ : ياـ أـبـا عـمـ : أـينـ وـاهـا لـرـيحـ الجـنـةـ إـنـ أـجـدـهـ دـوـنـ أحـدـ قـالـ فـقـاتـلـهـمـ حـتـىـ قـتـلـ قـوـجـدـ فيـ جـسـدـهـ بـضـعـ وـثـانـونـ بـيـنـ ضـرـبةـ وـطـعـنةـ وـرـمـيـةـ فـقـالـ أـخـتـهـ - عـمـةـ الرـبـيعـ اـبـنـةـ النـفـرـ - : فـهـا عـرـفـتـ أـخـىـ الـإـيـانـهـ قـالـ فـتـرـلـتـ هـذـهـ الـأـيـةـ «مـنـ الـمـؤـمـنـينـ رـجـالـ حـسـدـقـوـاـ مـاعـهـدـوـاـ اللـهـ عـلـيـهـ...» الـأـيـةـ . قـالـ فـكـانـواـ يـرـوـنـ أـنـهـاـنـزـلـتـ فـيـهـ وـفـيـ أـصـحـابـهـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ<sup>(١)</sup> هـذـهـ صـورـةـ وـضـيـثـةـ تـقـابـلـ الصـورـةـ السـالـفـةـ الـتـيـ تـقـضـيـ فـيـهـاـ الـنـاقـفـونـ عـهـودـهـمـ لـلـهـ وـرـسـولـهـ ، وـمـثـلـ مـاـ فـيـ النـاسـ مـنـ يـنـقـضـ عـهـدـهـ خـوـفاـ وـجـبـنـاـ أوـ بـغـيرـ ذـلـكـ مـنـ الـأـسـبـابـ ، فـإـنـ هـنـاكـ مـنـ يـثـبـتـ عـلـ العـهـدـ وـيـلـتـزـمـ الرـفـاءـ مـهـمـاـ تـكـنـ التـضـعـيـةـ فـيـ سـيـلـ ذـلـكـ ، وـمـهـمـاـ تـكـنـ الـصـعـابـ الـتـيـ تـخـمـلـ ، وـأـيـاـ كـانـتـ الـمـغـرـيـاتـ عـلـ التـقـضـيـ وـالتـكـوـصـ .

وـحـكـمـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ مـنـ تـحـبـصـ النـاسـ وـابـتـلـاـتـهـمـ ، وـامـتـحـانـهـمـ بـهاـ يـشـقـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـاـخـتـيـارـاتـ وـالـشـدـائـدـ إـنـاـ هـيـ لـيـعـيـزـ اللـهـ تـعـالـىـ الـخـيـثـ مـنـ الـطـيـبـ ، وـلـيـجـزـيـ الـصـادـقـيـنـ يـصـدـقـهـمـ إـحـسـانـاـ وـخـيـراـ ، وـيـتـرـلـهـمـ مـنـزـلاـ مـبـارـكاـ عـنـهـ فـيـ مـقـعـدـ حـسـدـقـ ، وـيـلـدـيـقـ الـنـاقـفـيـنـ جـزـاءـ نـقـافـهـمـ عـذـابـاـ يـنـاسـبـ مـكـرـهـمـ الـذـيـ سـقطـواـ فـيـهـ إـذـاـ بـقـواـ عـلـ هـذـاـ السـلـوكـ وـلـمـ يـرـجـعـواـ عـنـهـ وـيـتـوبـواـ إـلـىـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـيـسـأـلـهـ الـعـفـوـ وـالـمـغـفـرـةـ وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ غـفـورـ رـحـيمـ ، مـنـ يـقـصـدـهـ تـائـبـاـ مـنـ ذـنـبـهـ ، مـنـيـاـ إـلـيـهـ ، مـكـفـراـ بـالـعـمـلـ الصـالـحـ الـمـسـمـرـ مـاـ سـبـقـ مـنـ ذـنـبـ وـخـطاـيـاـ .

(١) مـسـدـ أـحـدـ

## أبطل الله كيد المشركين :

كان أهل المشركين كبيراً في القضاء على رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ومن معه من المؤمنين حين جعوا جوعهم، وساروا بجيوشهم الجرارة إلى المدينة، وكانت أحلامهم تصور لهم ولا أحلائهم من اليهود أن الأمر سهل ميسور، وأن ذلك لا يستغرق وقتاً طويلاً، ولا جهداً كبيراً.

وجاءت الجموع، وحالفهم أذلاء الأرض من اليهود، ولكن الله رد الذين كفروا عن المدينة خرايا غير منتصرين، بعد أن تقطعت بينهم وبين عمالفهم حال الود، وتصدعت أركان المودة، ردهم الله بعذابهم، لم يشف لهم غليلًا، ولم يتحقق لهم أي هدف رجعوا خائبين مخذولين خائفين بعد أن ثبت الله تعالى للمؤمنين أركان دولتهم، وطمأنهم على نقوصهم وأموالهم ومن قبلها على عقيدتهم ودينهم.

رد الله الأحزاب يدل وعار يعلو جماهيرهم أبد الدهر، لم ينالوا خيراً، وعصم - سبحانه - المؤمنين وحاصهم، وحفظهم من القتال، والله سبحانه قوي غالب، وفعال لما يريد.

يروي حذيفة بن حيان فيقول: والله لقد رأينا مع رسول الله - صل الله عليه وسلم - بالخفنق، وصل رسول الله - صل الله عليه وسلم - هرباً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يتغوم فينتظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع، (بشرط له رسول الله - صل الله عليه وسلم - الرجمة) أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟».

فما قام رجل من شدة الحرف، وشدة الجرع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله - صل الله عليه وسلم - فقال: «يا حذيفة: اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدث شيئاً حتى

تأتينا فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجند الله تفعل بهم ما تفعل، ولا تقر لهم قدرأ ولا نارا ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر أمرؤ من جلبيه، قال حذيفة: فأخذت الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخلف يعني الخيل والجهاز وأخلفتنا بتو قريطة وببلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فلان مرحلا، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاثة فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم . . .

وهكذا تنتهي الغزوة بالفشل والهزيمة لم يتب الأحزاب خيراً من مغنم أو نصر، ولم ينالوا خيراً بذكر طيب في الدنيا أو محمدية ترفع لهم ذكراؤلا راما، وعادوا بالخزي ورجعوا بالخسران.

### مع اليهود:

لم تدر الدائرة على قريش ومن ساندها من القبائل وحدهم، بل كانت الدائرة على بنى قريطة أدهى وأمر.

هؤلاء الذين نقضوا عهد الله ورسوله في أخرج موقف، وأشد وقت حيث يقروا بعد أن رحل المشركون يواجهون جزاء خيانتهم لله ولرسوله وللمؤمنين ولليهود مع رسول الله -صل الله عليه وسلم-. منذ نزول المدينة موقف لم يتغير . هادنوه مهادنة صورية ملحة وجيزة، ثم - بعد ذلك - لم يتركوا فرصة يزدلون فيها أو يسيئون إليها من خلاتها إلا انتهزاها، وسارعوا إليها، لقد حاولوا قتلهم، وأساءوا إليه بكل وسيلة، وحارلوا تأليب الناس عليه من أهل المدينة بل من أهل الجزيرة كلها، وخدروا وتجسروا ومدوا بالأذى أيديهم وألسنتهم، وكانت لهم مع الرسول - صل الله عليه وسلم -

مواقف، لعل من أبرزها ذلك الموقف المثير الذي وقفت به بنو قريطة في معركة الأحزاب، حين جاءوا في أحراج المواقف يقولون وقد نقضوا عهدهم: لا عهد بيتاً وبيت محمد ولا عقد.

ولقد كان نقض عهدهم في هذا الظرف أشق على المسلمين من هجوم الأحزاب من خارج المدينة، حيث عظم البلاء، واشتد الحُرُوف.

### غزوة بنى قريطة وجذب الخيانة والغدر:

وبعد رد الله تعالى للأحزاب مهزومين، وكفى الله المؤمنين القتال، رجع الرسول - صل الله عليه وسلم - والملعون منصورون فوضع الرسول والملعون سلاحهم، وأخذوا طريقهم لإزالة آثار المعركة بالاغتسال ونيل قسط من الراحة نادى جبريل الرسول - صل الله عليه وسلم: «أَوْخَذْتَ السلاح يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قال: نعم: قال: جبريل: ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها، إن الله تعالى يأمرك أن تنهض إلى بيتي قريطة».

فأدار الرسول - صل الله عليه وسلم - إلى أصحابه - وكان ذلك بعد صلاة الظهر وقال: لا يُصلِّيَنَّ أحدكم العصر إلا في بيتي قريطة، وكانت حصونهم على بعد أميال قليلة من المدينة. سار الرسول والملعون إليهم فحاصروهم في حصونهم خمساً وعشرين ليلة، فلما طال الحصار عليهم، وقدف الله تعالى الرعب في قلوبهم أيقروا أنهم - لا محالة - مسلمون، فطلبو من الرسول - صل الله عليه وسلم - أن يُحْكَمُ فيهم سعد بن معاذ ميد الأوس وكانتوا حلفاء قبل الإسلام، فجيء به، وكان قد أصيب بهم وهو مرابط أمام الخندق، فحكم بأن تُقتل الرجال، وتُنقسم الأموال، وتُستبي اللذاري والنساء.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قنادة ، عن عبد الرحمن ابن سعد بن معاذ عن علقة بن وقاص الليثي قال : قال رسول الله - حصل الله عليه وسلم - لسعد: «القد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»<sup>١١</sup> [والارقعة هي السموات] ، وتفقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حكم سعد بن أبي وقاص فيهم ، والذي جاء موافقاً لحكم الله تعالى كما أخبر بذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وكان هذا الحكم جزاء خيانتهم ، ونفثهم عهدهم ، وتأمرهم مع الشركين ، لأنهم لو نجعوا في مؤامرتهم مع الشركين لاستأصلوا المسلمين جميعاً ، فكان الجزاء من جنس العمل ، فقد تكررت خياناتهم ومؤامراتهم على الرغم من أن المسلمين لم يقدروا لهم أي إساءة ، ولم ينفثوا لهم عهداً.

وসاقت الآية الكريمة مع هذا النصر المبين بشرى للعزميين بأن الله تعالى سيفتح عليهم بلاداً آخرى لم تطأها أقدامهم بعد ، وقد تحققت هذه البشرى بالفتحات التي توالت بعد ذلك: مكة، وحنين، وببلاد فارس، وببلاد الروم، وغيرها. والله تعالى قادر على كل شيء لا تُرْدُ قدرته ولا يجوز عليه - سبحانه وتعالى - العجز .



(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٤٩ طبعة دار الفكر العربي .



بِنَاهَا الْيَوْمَ

قُلْ لَا أَزُوْجُكَ إِنْ كُنْتُنَ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا  
 فَتَعْلَمَنِ أَمْتَعْكُنْ وَأَسْرَحْكُنْ مَرَاحًا جَيْلًا ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كُنْتَ  
 تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنِينَ  
 مِنْكُنْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ يَتَسَاءَلُ الْيَوْمَ مَنْ يَلِمْ مِنْكُنْ  
 يُفْسِدُهُ مَيْنَةً يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعْقَيْنِ وَكَانَ  
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرًا ﴿٣١﴾

### معاني الكلمات والجمل :

- |                              |   |
|------------------------------|---|
| : أَمْتَعْكُنْ               | عَطِيَّةٌ تُجْزِي الْخَاطِرَ.             |
| : أَسْرَحْكُنْ               | أَطْلَقْكُنْ.                             |
| : الدَّارُ الْآخِرَةُ        | مَا فِيهَا مِنْ الْجُنَاحِ وَنَعِيْمَهَا. |
| : فَاسْتِهْشَةٌ مَيْنَةٌ     | مَعْصِيَّةٌ وَاضْحَىَ الْقَبْعُ.          |
| : يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ | تَعَاقِبٌ يَمْثُلُ عَقَابَ غَيْرِهَا.     |

## نَسَاءُ النَّبِيِّ :

حين فتح الله على المسلمين أرض بني قريظة ، ومن قبلها ملكت أمواه بني النضير لهم ، ظهر أثر ذلك في بيوت المسلمين ، إذ وَسْعُوا في النفقة على عبادهم وأزواجهم ، وَحَبَّ نَسَاءَ النَّبِيِّ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْهُنَّ كَفِيرُهُنَّ مِنْ نَسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَأَيْنَ رَسُولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ بِمَا يُعْكِنُ أَنْ يَوْسِعَ بِهِ عَلَيْهِنَّ ، فَطَلَّبُنَّ إِلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقَلَّنَ : وَاللهِ لَا تَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئاً لَيْسَ عَنْهُ ، بَنَاتٌ كُسْرَى وَقِصْرَ فِي الْخَلِيلِ وَالْخَلْلِ وَالإِمَاءِ وَالخَلْوَلِ ، وَنَحْنُ فِي الْفَاقَةِ وَالْفَقِيقِ ، فَاعْتَزَلَ رَسُولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَسَاءَهُ شَهْرًا ، وَظَاهَرَ أَثْرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ صَاحِبَتِهِ - رَحْمَوْنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - فِي غَایَةِ الْقَلْقِ عَلَى حَالِهِ وَعَلَى مُصِيرِ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشَاعَ فِي الْمُؤْمِنِينَ طَلاقُ النَّبِيِّ لِزَوْجَاتِهِ ، فَبَلَغَ بِهِمُ الْحَزْنَ مِبْلَغَهُ حَتَّى ذَكَرَ عَمْرَ - رَحْمَوْنَ اللَّهُ عَلَيْهِ - لِرَسُولِهِ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَزْنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ بَلَغُهُمْ طَلاقُ نَسَائِهِ ، فَأَبْلَغَهُ أَنَّهُ لَمْ يَطْلَقْهُنِّ .

نزلت بعد ذلك على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - آيات تُخْبِرُ نَسَاءَهُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَزِيَّتها بَعِيداً عَنْهُ ، وَبَيْنَ مَرْحَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَمَا أَعْدَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ لِلْمُحْتَنَاتِ مِنْهُنِّ .

حين نزلت هذه الآيات بدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إنّي أريد أن أغرض عليك امرأً أحب إلا تعجل فيه حتى تستشيري أبيك»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها ما نزل بشأنهن - قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوّي؟ بل اختار الله ورسوله الدار الآخرة ، وأسألك إلا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت . قال: لا تسألي امرأة منهنه إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني مُعْتَاداً ولا مُنْعَتَاداً ، ولكن بعثني مُعْلِماً مُسِّرًّا<sup>(١)</sup> ويروي في

ذلك سلم عن عائشة قالت: لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله - صل الله عليه وسلم - فبدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت إلا تدخل علينا شهراً، وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن، فقال: «إن الشهر تسع وعشرون» ثم قال: «يا عائشة أني ذاكر لك أمرأ، فلا عليك ألا تعجل فيه حتى تستأمرني أبويك ثم قرأ على الآية «بِنَائِهَا الَّتِي قُلْ لِأَزْوَاجِكَ» حتى بلغ «أَجْرًا عَظِيمًا»

قالت عائشة: قد علم والله أن أبي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: فقلت: «أو في هذا استأمر أبي فلاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة» ثم قال بعد ذلك إن عائشة قالت «لا تخبر نساءك أني اخترتك»... فقال لها النبي - صل الله عليه وسلم - : «إن الله أرسلني مُبَلِّغاً ولم يرسلني مُمْتَعِتاً» (١).

لقد أمر رسول الله - صل الله عليه وسلم - أن يقول لزوجاته: إن ما يطلبته من زينة وتوسيعة تشبهها بناء المساواة قد يكون حفاظاً لا يعيش في بيت النبوة مع النبي اختار له ربه لوناً من الحياة يناسب رسالته، عازفاً عن متع آباء الله خيراً منها، وأعذله من التعميم والمتعة هو ومن معه من يصبر على تلك الحياة ما هو فوق أحلام البشر.

أمر الرسول - صل الله عليه وسلم - أن يقول لزوجاته: إن ما يريده من زينة وتسعة يناسب نساء وضعهن ليس كرضيع نساء النبي ، وأثنين إن أردنا أن يكن مثلهن فليخترن ذلك ، على أن تأخذ كل واحدة ما تشاء من الزينة والمتعة والعطية التي ترضيها ، ولكن على ألا تبقى زوجة لرسول الله - صل الله عليه وسلم - وأن يطلقها طلاقاً لا مضرّة معه ولا إضرار ، وتتمتع بها تشاء بعيداً عنه وعن حياته.

هذا خيار ، وال الخيار الآخر أن يختزن ما هن عليه مرضاة لله سبحانه وتعالى وقبولاً لشيء رسول الله - صل الله عليه وسلم - في معيشته

(١) رواه سلم .

وأسلوب حياته، وطمعاً في مثوبة الله سبحانه وتعالى وعطائه الذي لا يحده في الآخرة، موضحاً هن أن الله سبحانه وتعالى قد أعد له اختار الأمر الثاني منه أجرأً عظيماً، بقدر إحسانها، وخلوص قصدها وإقبالها على الله سبحانه وتعالى.

وقد عرض الرسول - صل الله عليه وسلم - على نساءه جميعاً ما بدأ به عائشة كي سبقت الإشارة إليه، وقد اخترن جميعاً الخيار الثاني، وهو الذي اختارته عائشة فقد أردن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهن أن نازل المقربين عالية، وأن سقطات الكبار فادحة، فوجه الخطاب إليهن بأن أي واحدة من نساء النبي ترتكب معصية من المعاصي الواضحة، أو تأتي بذنب منكر، لا تغافل كيما تغافل غيرها من النساء، ولا تعاقب عقابهن، لأنهن في بيت التبرة يسمعن آيات الله والحكمة، ويرين النهج الذي هو الأسوة الحسنة، فالتي تخرج منهن عن هذا الهدي يُضاعف لها العذاب وتُشدد عليها العقوبة. وذلك يسير على الله سبحانه وتعالى.

وهكذا تضاعف الحرمات، وتضاعف عقرتها لما لذلك من أثر كبير وخطير عظيم فالذي يلتب وهو لا يعرف خطورة ذنبه، ويجهل كونه معصية، ليس كمثل من هو في الناس قدوة، ويعرف فداحة الخطأ، وكثير الذنب، كيما أن أثر الخطأ الذي يقع فيه خطير وكبير على الناس، من حيث هو قدوة، يقلدونه في عمله أو يستهينون بالقيم والفضائل إذا انتهكها من يرونها مثلاً فيهم وأسرة لهم.

وسيأتي بعده أن القاتنات من نساء النبي العاملات صالحات تؤتى الواحدة منهن ضعف الأجر والثواب مع ما أعدد الله لها من الرزق الكريم.





مدرسة :

اسم الطالب :

الصف :

السنة الدراسية :